قصص من روائع حضارتنا

أ.د/ عبد الحليم عويس









قصص
من روائع حضارتنا







الطبعة الأولى ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م

بطاقة الفهرسة

عويس ، عبد الحليم

قصص من روائع حضارتنا ـ دكتور/ عبد الحليم عويس . ط١. المنصورة :

دار الكلمة للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠م

١٢٠ص ، ٢٠سم

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٢٣٧٩٥

الترقيم الدولي : 978 - 977 - 311 - 351-8

دار الكلمة للنشر والتوزيع

المنصورة ـ ص.ب. : ١٦٧ ت ف : ٢٢٢٤٥٠٣ / ٠٥٠

محمول : ٠١٠٩٧٠٧٤٩٥

e_mail:mmaggour@hotmail.com



قصص
من روائع حضارتنا

دكتور
عبد الحليم عويس

دار الكلمة
للنشر والتوزيع



بسم الله الرحمن الرحيم



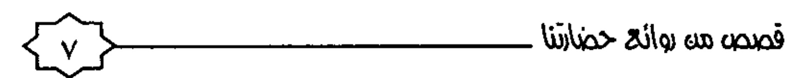
قصة سعد بن أبي وقاص

« بطل القادسية »









الليل ساكن هادئ ، والناس جميعًا في سكون وهدوء ، بين قابع في منزله ينال قسطه من الراحة والنوم ، وبين مدمن خمر أو عربيد نساء ، يقطع سكون الليل بعربدته وفجوره ، ذلك شأن الناس في هذا الوقت الشاعري الجميل .

أجل .... ذلك شأن الناس ـ كل الناس ـ إلا من نفر قليل آمنوا برسالة محمد بن عبد الله فهم الآن في تهجد وتبتل .

وجلس على صخرة من صخور الكعبة فتى صغير في السابعة عشرة من عمره ، جلس مطرقًا يفكر ويفكر ، وينظر بعيني رأسه مرة إلى الكعبة ذلك الحرم المقدس ، ومرة إلى ذلك المنزل البعيد ـ منزل ابن أبي الأرقم ـ ويحاول الفتى جهده أن يوجد وجه التباين والاختلاف بين الكعبة وقد امتلأت بأحجارها وأصنامها ، وبين ذلك المنزل المقفر الخالي من الناس إلا من ستة رجال يحضرون كل ليلة مستترين عن أعين الناس بالظلام ، كي يتعلموا عن محمد بن عبد الله مبادئ هذا الدين الجديد الذي سمع عنه من أمه صباح البارحة .

وقال الفتى لنفسه وقد رأى رجلًا لم يعرف حقيقته يسير بحذر قاصدًا منزل ابن أبي الأرقم : لم لا أتبع هذا الرجل وأقف على باب المنزل كي أتعرف على حقيقة هؤلاء القوم ، وأرى عن قرب حقيقة ما



يؤمنون به وما أتى به هذا الذي يسمى محمدًا ؟! وفعلا سار الفتى متمهلًا ووقف على باب المنزل بحذر ، ووصل إلى مسمع الفتى وهو واقف صوت هادئ خافت كأن صاحبه يحذر هو الآخر شيئًا .

« وكانت مفاجأة ، وكانت يد السماء ، وكان قدر الله ، وكانت صفحة جديدة من صفحات التاريخ المضيئة ، صفحة البطل المسام القائد سعد بن أبي وقاص » .

***

وقف سعد حابسًا أنفاسه ، موجهًا كل إحساسه ومداركه نحو الصوت الذي يخرج من داخل المنزل !!

وجاءه الصوت يرتل في خشوع وخضوع قول الله تعالى في كتابه : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:٨-١٠] .

وأخذ القارئ في قراءته حتى وصل إلى قول الله : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل:١٧] .

وكان لهذه الآية موقعها من نفس سعد ، فرددها في نفسه ، وأخذ يكرر ما ردده ، وكأنه قد وجد فيها صورة من هو يوم القيامة وشدائده ،





فارتعدت فرائصه ، وحمّ بدنه ، فانصرف من مكانه مذهولًا متخاذلًا ، وهو يردد في نفسه : ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل:١٧] !!

***

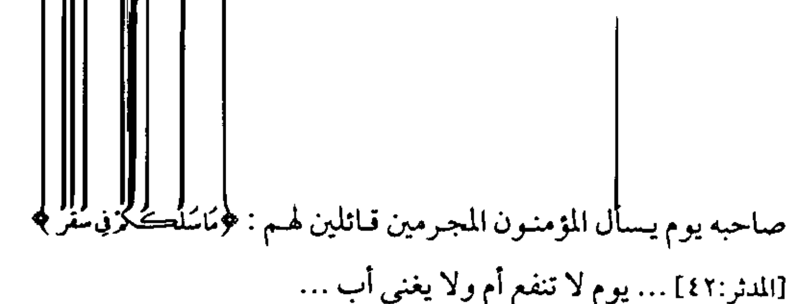
قام سعد ليلته وهو يتعجل بزوغ الشمس وخروجها من مكمنها ، وما إن بزغت الشمس حتى أسرع سعد إلى أبي بكر الصديق ، وجلس معه في مجلس من مجالس النور والإيمان ، سعد يسأل والصديق يجيب ، سعد ينصت والصديق يقرأ القرآن ، حتى بدا على وجه سعد الارتياح والإيمان ، فانتهز أبو بكر الفرصة وعرض عليه الإسلام .

غير أن أثرًا من آثار الجاهلية كان يتشبث به ، وخوفًا من أمه كان يلاحقه ، وعدة أسئلة عن نتائج إسلامه كانت تبادر إلى ذهنه .

ولاحظ أبو بكر عليه ذلك ، فحاول جهده أن يجد في آيات الله القليلة التي نزلت ما يطمئن خاطره ، ويشرح صدر سعد إلى الإسلام ... ووجد أبو بكر آية كانت فصل الخطاب وبيت القصيد هي ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨] ، ويستخلص منها معان ، هي العدالة بعينها ، هي القانون الصارم الذي لا يأخذ بريء بجريمة مذنب ، ولا يعفو عن مذنب في سبيل بريء ، وألا أحد يغني عن







صاحبه يوم يسأل المؤمنون المجرمين قائلين لهم : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢] ... يوم لا تنفع أم ولا يغني أب ...

وظل أبو بكر يستخلص المعاني السامية ويشرحها لسعد بأسلوبه الشائق .

فما قام سعد من مجلسه إلا وهو سابع سبعة آمنوا بنبوة محمد بن عبد الله وشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

* * *

وسار خبر إسلام سعد في قريش مسرى النار في الهشيم ، ووصل إلى أمه ـ وقد كانت مشركة متعصبة ـ وكان سعدًا بارًا بها ، وقد حاولت معه بعد أن علمت بإسلامه كل ما تستطيع من دموع وتوسلات ، في سبيل أن يرجع عن الإسلام ، لولا أن الإسلام دين لا يعرف الميل عن الحق في سبيل العواطف أو التوسلات ، وهو إذا استقر في قلب عبد وتمكن منه فمحال أن يجد الضلال إلى قلبه سبيلا .

ووقف سعد أمام توسلات أمه صامتًا صامدًا قوي النفس ، فشهرت في وجهه سلاحًا آخر موقنة بأنه سيهيج عواطف ابنها ، ويرده عن دينه ، فامتنعت عن الطعام يومًا ثم يومين وأقسمت ألا تذوق طعامًا ولا شرابًا أو يرجع سعد إلى دين آبائه ، ووقف سعد ثانية من هذا





الامتحان موقفا أشد صمودًا ، وصمم على ما آمن به ، وجابه أمه بقولته الخالدة : «والله يا أمي لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا ما تركت ديني » فأيقنت أمه ألا نتيجة معه فأكلت وشربت .

ومضت شهور وأعوام على حادثة إسلام سعد هاجر الرسول فيها المدينة - وكانت بدر - وكانت أحد - التي وقف فيها سعد تجاه حمايته للرسول موقفًا بطوليًا - وكان فتح مكة .. وكانت القادسية !!

* * *

وفي القادسية كان تاريخ سعد ، ولو كان سعد هذا إنسانًا آخر خلق ليقود معركة كالقادسية ، وهي من أقطع وأخطر معارك التاريخ - ثم يفعل فيها ما فعله سعد فيها وبعد ذلك يموت ، لسجله التاريخ وكتب عنه ما لم يكتبه عن غيره من أعظم القواد والفاتحين ..

ففي هذه الموقعة ظهرت براعة سعد في تفهم النفس الإنسانية ، فقد تأكد لديه أن هيبة الفرس ما زالت يحسب حسابها عند العرب ، فكان يستهتر بالفرس ويعمل على انتزاع صورتهم العالقة في صدور العرب ، حتى تم له ما أراد ، وزالت هيبة الفرس من نفوس العرب ، فكان العربي لا يهاب منازلة أحد من الفارسيين ، بل اثنين بل خمسة .

وبدأ سعد بعد ذلك في إرسال السرايا لمناوأة الفارسيين كي يعرف





نقاط الضعف فيهم ، وكانت بينه و بينهم مراسلات باءت بالفشل إلى أن قامت المعركة الخالدة .

أجل . قامت المعركة الخالدة بين قوتين غير متكافئتين لا في السلاح ولا في الرجال ، ولا في الإيمان ، فقد تفوق الفارسيون في السلاح والرجال كما تفوق المسلمون عليهم في الإيمان تفوقًا هائلًا ...

وبدأت المعركة يومها الأول .

وتقابل الجيشان وأعملت السيوف ، وكانت الأفيال قد تقدمت جيوش الفرس وعليها منهم من يضربون المسلمين بالنبال .

ووجه بعض فرسان المسلمين الشجعان كل جهدهم إلى هذه الفيلة ومن عليها ، فكانوا يرمون من فوقها بالسهام في أعينهم ويضربونها في أقدامهم ، فكانت تهوي على الأرض ، فتهلك من عليها ، ثم تفر مذعورة إلى الوراء فتسبب لجيش الفارسيين خسائر فادحة .

وانتهى اليوم الأول ...

وكانت قوة المسلمين قد ازدادت عن البارحة نتيجة الإمدادات التي وصلتهم من الشام وعلى رأسها القعقاع بن عمرو .

وعندما بدأت المعركة نازل القعقاع قائد الفرس الثاني بعد رستم ويدعى « بوهمن » فقتله وقتل كل من نازلوه ، وكان وطيس الحرب



حاميًا ...

وكان اليوم كسابقه لصالح المسلمين .

وانتهى اليوم الثاني ...

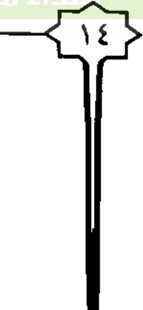
فبدأت بذلك المعركة يومها الثالث .

وفي اليوم الثالث جهز الفرس جيشًا من الفيلة أكثر من اليوم الأول ، فأمر سعد فرسانه بأن يستعملوا الحراب ، وأن يضربوا بها الفيلة في أعينها ، ففعلوا ما أمرهم به ، فتقهقرت الفيلة وولت للمسلمين ظهرها ، وانطلقت مخترقة جيوش الفرس فسبب ذلك نكبات كثيرة لجيش الفرس ...

وقد استماتت كل من الجيشين طيلة النهار ، واستمر القتال طول الليل ، فاندمج اليوم الثالث بالرابع ، والناس لا يدرون أأصبح المساء أم أمسى المساء ..!!

وحمل المسلمون على الفرس حملة صادقة ، وكان الفرس قد ضجروا ونالهم النصب ، فهجم بعض الفرسان على قلب جيش الفرس ، وقتل فارس مسلم مشهور يسمى « هلال بن علقة » قائد الفرس رستم ، فتخاذل الفرس ، واشتد عزم المسلمين وقويت شوكتهم فلعبت السيوف في أيديهم لعبة الموت ، وأطاحت برقاب ثلاثين ألفا من





الفارسيين الذين قيدوا أنفسهم بالسلاسل على عادة الفرس في الحرب ، واختلط حابل الفارسيين بنابلهم ، فمن استطاع أن يهرب هرب ، ومن مات مات ، ومن عاش بين الموت والحياة أماته الحزن والكرب والحقد على هؤلاء العرب الذين كانوا من رعاياه وخدامه .

وانجلت المعركة بنصر المسلمين فانمحت دولة الشرك من نصف العالم ، وقامت مكانها دولة أخرى عمودها الفقري : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، دولة مخططة منظمة على يد البطل العربي المسلم « سعد بن أبي وقاص » .

وأمام باب خيمة متواضعة ، تعيش كأثر من آثار المعركة وقف سعد يتلقى تهاني المهنئين ، ويصافح المسلمين أفواجًا .

وفوق خيمته علقت راية بيضاء ، كأن لسان حالها يقول :

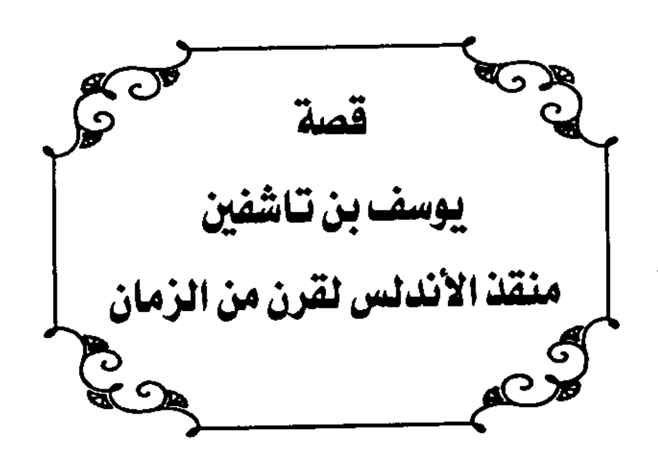
الآن علت كلمة الله في الآفاق ... الآن سجل التاريخ بأحرف من نور صفحة سعد بن أبي وقاص المشرقة في أعظم معارك الإسلام والمسلمين ...

في القادسية ...

* * *







قصة
يوسف بن تاشفين
منقذ الأندلس لقرن من الزمان









قال يوسف بن تاشفين لمحدثه :

ألا ترى معي أن الإسلام يمكن أن تقوم لأمه قائمة ، وأن قومه إذا اتحدوا وأخلصوا النية لله نصرهم الله على أعدائهم ورفع منزلتهم في العالمين ؟

وأجابه محدثه بهزء وسخرية :

يعجبني فيك الطموح وبعد الآمال ، غير أنك تطلب المحال وتنشد الخيال ، وإن أمم المسلمين المتنابذة المتصارعة لا يمكن أن تقوم لها – كما تدعي – قائمة ، وظهر الغضب على وجه يوسف ، لكنه أجاب بلهجة المؤمن القوي مخاطبًا محدثه : اسمع يا أخي إن المحال في عالمنا هذا هو الذي لم يحدث ولا يمكن أن يحدث ، لكن الذي تقول إنه محال قد حدث ووقع ، فلقد كان المسلمون في بداية أمرهم أمة واحدة ، جسدًا واحدًا ، لا تباغض ولا تشاحن بين أعضائه ، وإن أملي في الله الذي جمع دول الكفر كلها علينا في أيامنا هذه أن يزيل ما بين المسلمين من تشاحن وفرقة ، حتى ينتصروا على أعدائهم .

ورد عليه محدثه قائلًا : إنه يا أخي يوسف كما تقول أمل وقلَّ أن تتحقق الآمال الكبار ، وانصرف يوسف إلى بيته وهو يفكر في كلمة الرجل : إن وحدة المسلمين كي ينتصروا على أعدائهم أمل ... أمل





كبير .. حقًا ... وأي أمل !!

* * *

وقع هذا الحديث ليوسف بن تاشفين وهو في العشرين من عمره ، وهذا الحديث على قصره ، كان له أكبر الأثر في تغيير مجرى حياته ، إذ رأى يوسف من واجبه أن يندمج في سلك الجندية حتى يؤدي للإسلام ضريبة الجهاد .

وكرت السنون ومرت الأيام ... اليوم تلو اليوم .

وبلغ يوسف الأربعين ، وأتيح له أن ينظر لنفسه ذات يوم فوجد حياته تنصرم ، وهي كلما انصرمت أبعدت من أمله في تحقيق وحدة المسلمين كي ينتصروا على المسيحيين ، وأكدت صدق كلمة الرجل القائل له بأن الوحدة والنصر مجرد أمل ، وقلَّ أن تتحقق الآمال .

وكاد يوسف يبكي لولا أن طبيعة البطولة الكامنة فيه منعته من ذلك ، إذ العويل والبكاء من طبيعة النساء ، وهوّن على يوسف الخطب ثقته في الله ، وعلمه بأن مرتبة القيادة التي نالها في جيش ابن عمه أبي بكر بن عمر اللمتوني الصنهاجي سوف تفتح له أبوابًا قد ينفذ منها إلى تحقيق آماله ، وعن طريق هذا الموقع سوف يحاول أن يعيد للمسلمين عزهم ورفعتهم إن شاء الله رب العالمين .





بهذا حدَّث يوسف بن تاشفين نفسه . . .

ومرت عدة أعوام عزل نفسه بعدها متفرغًا للجهاد حاكم المغرب آنذاك أبو بكر بن عمر اللمتوني الذي أوصى أن يتولى الحكم بعده ابن عمه يوسف بن تاشفين !!

ووجد يوسف أن الفرصة قد سنحت ، وهو إذ لم يعمل كان من الذين يقولون ما لا يفعلون ، وخابت كل آماله الكبار !!

ولكن بأي شيء يبدأ يوسف المعركة ؟ لابد له من مقر رئيسي يمثل دولة الإسلام التي يحاول أن يرفع بناءها ، ونهض فعلًا إلى بناء مدينة أسماها مراكش جعل منها عاصمة ملكه ومقر قيادته ... وكانت مدينة مراكش قد بدأ تأسيسها ابن عمه أبو بكر بن عمر اللمتوني . . .

فأتم يوسف البناء ، وجعلها حاضرة المغرب الأولى ...

وفي بداية عام ٤٥٥هـ بدأت معارك يوسف في سبيل رفع راية الإسلام ، فلقد أعد جيشًا قويًا فتيًا هجم به على البلاد المجاورة لمراكش كفاس ، وطنجة ، واقتحم به حصون زناته وغمارة وغيرهما من المدن حتى تم له في مدة لا تتجاوز الخمسة عشر عامًا إنشاء دولة إسلامية تمتد من تونس شرقًا إلى المحيط الأطلنطي غربًا ومن البحر الأبيض المتوسط شمالًا إلى حدود السودان جنوبًا .



ونظر يوسف إلى نفسه مرة ثانية فوجد حلمه قد تحقق بإنشاء دولة إسلامية كبيرة !! وكاد يبلغ به الزهو والغرور مبلغًا كبيرًا لولا أن صوتًا آخر من أصوات الضمير قد استيقظ في فؤاده .. وهاتفًا من أعماقه قد انبعث قائلًا له : وماذا يستفيد الإسلام من دولة قامت ، وبعد أيام تروح ، أو ملكًا شيد ، لا تلبث عادية الزمن أن تعدو عليه ، وإن فوق ذلك في باب خدمة الإسلام مراتب ودرجات عالية لا يجوز أن تذهب حياتك دون أن تقوم بها .

إن هناك ... هناك على البعد إخوان لك أبناء الإسلام ... يتحكم فيهم المسيحيون ، ويفتتون من وحدتهم ، ويضعون من قوتهم ، ويضربون دولتهم بكل قوة لا يجدون عونًا إذا استعانوا ، ولا غوثًا إذا طلبوا الغوث ...

إنهم هناك يرجون جهدك ويعقدون على دولتك الناشئة القوية كثيرًا من الآمال ، إنهم هناك وراء البحر قابعون في الضفة الأخرى منه يدافعون عن بلادهم وإسلامهم قدر ما يستطيعون ، بل وفوق طاقتهم فاعمل شيئًا من أجلهم ومد يدك إليهم .



وعندما وصل حديث يوسف مع نفسه إلى هذا الحد أرسل تنهيدة طويلة وذهب إلى فراشه كي ينال قسطه من الراحة ، وأثناء نومه عاودته

الخواطر في شبه أحلام مزعجة، جعلته يقوم من نومه فزعًا، وجعلته يعاهد الله لئن أطال أجله فلابد وأن يفعل شيئًا من أجل هؤلاء الأندلسيين القابعين وراء البحر الذين يتربص بهم النصارى من كل جانب !!

***

أصبح يوسف من نومه فما إن انتهى من صلاة الفجر، وتناول فطوره وبدأ يستريح قليلًا حتى جاءه رسول ينبئه بمقدم وفد من بلاد الأندلس (القابعين وراء البحر) يحملون له نبأ هامًا ويرجون مقابلته في أقرب وقت .

حدث يوسف نفسه : ترى أيكون وراء هؤلاء الرسل تفسير حلم الليلة ؟ أيكون وراءهم أمر جلل وخطب نزل .. ؟ .. لا داعي للتخمين – فلأذهب إليهم .. وسوف أعرف جلية الأمر . .

وذهب يوسف إليهم واستقبلهم أحسن استقبال ورحب بهم في بلاده وأدى إليهم واجب الضيافة، وقدموا له كثيرًا من الهدايا التي بعثها معهم أمير « أشبيلية » المعتمد بن عباد، وغيره من أمراء الأندلس، وأعطوه رسالة المعتمد بن عباد التي يرجوه فيها العون، ويطلب منه المساعدة في سبيل الإسلام، وفي سبيل القضاء على أعدائهم



النصارى المسيحيين ، ووعدهم يوسف خيرًا وأعادهم إلى بلادهم مكرمين ، وقد ودعهم بعبارات الحب والتقدير .

وأخذ يوسف ينظر في الأمر على مهل ، وهنا كان عجب أصحاب يوسف منه .

لقد كانوا يعتقدون فيه خلاف ذلك .. فهم يدركون غيرته ويعرفون حبه لخدمة الإسلام والمسلمين إذن فما هذا التسويف منه إزاء إخوة مسلمين يستجيرون به ؟!! ولو علم أصحاب يوسف أنه إنما فعل ذلك تريثًا منه وضمانًا للنصر ، وتأكدًا من أن الأندلسيين القابعين وراء البحر .. سيتعاونون معه ولا يخذلونه إذا سارع إلى خدمتهم ونجدتهم – إذن لما عابوا عليه .

وفعلًا تحققت خطة يوسف ، واستطاع أن يحظى بضمان الجهاد معه إذا هب لنصرتهم ... وعندئذٍ بادر فكوَّن جيشًا قويًا مزودًا بكافة الأسلحة والمؤن ، وسار به عبر مضيق جبل طارق حيث وصل إلى جنوب بلاد الأندلس في شهر رجب من عام ٤٧٩ هجرية ، فانضمت إليه قوات ابن الأفطس ملك بطليوس ، وقوات ابن عباد ملك أشبيلية ، وغيرهما من القوات ، وانتظم الجميع في جيش قوي تحت قيادة مؤمنة .

* * *



وأقبل الرابع عشر من شهر رجب أي بعد وصوله إلى الأندلس بنصف شهر تقريبًا وبدأت المعركة بين الجيشين (جيش المسلمين ، وجيش المسيحيين) هناك عند سهل يسمى (سهل الزلاقة) ، وهجم المسيحيون بقيادة قائدهم (ألفونس السادس) على جيوش المسلمين واخترقوا صفوفه ، وبذلوا كل ما يستطيعون من جهد ومن عرق !!

* * *

وكاد النصر يضيع من يد المسلمين لولا أن تدارك يوسف الموقف ، وجمع نخبة من جنوده وهجم على قلب الجيش المسيحي ، وأظهر من البطولة والشجاعة ما يقرب من الخبال ، وتبع يوسف جنود جيشه المتفرقون ، وأحاطوا بجيش المسيحيين ، واندمجوا في المعركة اندماجًا كليًا حتى أثخنوهم بالجراح ، وقضوا على الآلاف من المسيحيين ، وسارت خيل المسلمين في أبحر من دماء المسيحيين ...

وتوغل يوسف ووراءه الجيش في طريق المعركة المليء بالدماء .. واستمروا على توغلهم كثيرًا حتى قضوا على معظم المسيحيين ، ولم ينقذهم إلا إدبار النهار ، وإقبال الظلام .

وظل المسلمون يراقبونهم طوال الليل إلى أن أقبل النهار بضوئه ، وأشرقت شمس الصباح على العالمين ، فزحف جيش المسلمين نحو





فلول المسيحيين الباقية فأسروا من أسروه وتتبعوا الفارين ، وعادوا بغنائم جمة ومكاسب بالغة .

ووقف التاريخ يدون النصر للمسلمين في تلك المعركة الخالدة الفاصلة بين قوة المسلمين وانتصارهم ، وضعف المسيحيين وهزيمتهم .

وصاح المؤذن بأعلى صوته في الناس ... الله أكبر ... الله أكبر ... حي على الفلاح ... حي على الفلاح .

ووقف يوسف بن تاشفين ... ونظر إلى راية المسلمين التي بدأت ترتفع ، ثم نظر إلى نفسه ... وذكر قول صاحبه له منذ خمسين سنة ... في مجمل حديثه معه : (إن وحدة المسلمين وانتصارهم أمل ... أي أمل ، وقل أن تتحقق الآمال) فرد في نفسه :

الحمد لله .. الحمد لله .. لقد تحققت الآمال .







قصة
سعيد بن المسيب


www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة



رفض أن يزوج ابنته لوليّ العهد وزوّجها من أبي وداعه تلميذه الفقير .

رجل به بعض الغرور كان يهم بخلع نعليه أمام مسجد المصطفى ﷺ ، والناس حين ينظرون إليه نظرة الدهشة لا يثيرهم منه هذا التأنق الظاهر أو هذا الملبس الفاخر ، وإنما يدفعهم إلى التساؤل أن هذا الرجل بخدمه وحشمه ، بغروره وكبريائه ، قد جاء ليجلس كواحد من الفقراء في مجلس الشيخ الزاهد ، التقي الورع : « سعيد بن المسيب » .

وقد تكررت هذه الصورة حتى ألف الناس هذا المنظر واعتادوه في حلقات العلم التي كان يعقدها الشيخ سعيد .. حتى أن الناظر المتفحص لمجلسه يرى فيه صورة حقيقية من صور الديمقراطية في الإسلام ، ويرى فيه سماحة الإسلام كما يجب أن تكون ، وكيف أن الناس صغيرهم وكبيرهم ، وعظيمهم وحقيرهم ، أمام طلب العلم سواسية ..

وللشيخ في مجلسه ذاك تلامذة وأبناء ، بعضهم يكبره في السن وبعضهم دون سنه بقليل ، والآخرون في عمر الزهور لو كانوا في زماننا هذا لما شاهدناهم إلا بين الحانات ودور اللهو والمجون .

ذاك يا صاح مجلس فيه بعض ما كان لمجالس الرسول يوم ولد



الإسلام ، فلو كنت من طلاب العلم المهرجين المتبجحين لما كان لك في المجلس نصيب ولا في الرجل وتقواه أدنى أمل .

وما كان ذلك لعصا يمسكها الرجل في يده يضرب بها المشاغبين .

وإنما لكلام الرجل روعة تحس معها أنك في عالم آخر ليست فيه إلا عصا السماء تضرب المشاغبين واللؤماء ، ولشيخوخة الرجل هيبة في النفوس ، لا هي من هيبة الملوك وظلمهم ، أو الحروب وويلاتها ، وإنما هي مزيج تكامل له من كل هيبة هيبة ، فكأنك وأنت تنصت إلى الرجل تنصت إلى ملك في مملكته ، وهو يلقي أوامره المشددة إلى عماله المطيعين له من زاوية عدله ، لا من زاوية ظلمه ، وتحسّ من الرجل إلى جانب ذلك هيبة الحرب الضروس ، وكأن كلمات الرجل وهي تخرج من فيه قذائف مدمرة يلعنُ بها الدنيا وطلابها ، وظلم الظالمين ، وكل ما يمت إلى معصية الله بحبل أو صلة .

والشيخ سعيد إذا انخرط في سلك حديثه لا تحس منه إنسانًا يتكلم من جعبته ، وإنما تحس كأن نبيًا يقف أمامك يستلهم وحيه ويتحدث بما يوحي إليه به ، فحديث الرجل وشرحه هو شرح علوي مستقي من منابع النبوة !! فإذا حدث الشيخ يومًا بشرح حديث أو آية استنبط منها معانٍ لو قسم الإعجاز البياني إلى قسمين .. قسم التنزيل الرباني ، وقسم





البيان البشري لكان للرجل قسم البيان البشري بلا منازع أو مجادل .

وناهيك برجل وهب للخالق نفسه فلا يقول إلا لله ولا يستلهم إلا من الله ، ولا يتكلم إلا باسم الله .

* * *

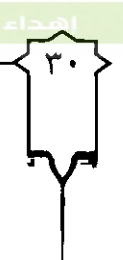
وقف سعيد مرة من وقفاته تلك .. وأخذ يتحدث إلى الناس ويقول لهم :

أتعرفون أن غضب الله لاحق بكم ، وما ذاك إلا لأن سنة نبيه قد ضاعت بينكم ، والرحمة قد نزعت من قلوبكم ، وتكالبتم على حب التفاخر بالأنساب والأموال ، وإن أحدكم لو خير بين أن يتزوج من سلالة النبي أو يزوج لهم أو أن يتزوج من أولياء الأمر وأصحاب الحكم أو يزوج لهم ، لغلبه شيطان الدنيا وأضله هواه واختار الثانية ، وإني لأراكم تؤثرون لبناتكم كل ذي مال ونسب وليس كل ذي علم وأدب ، وأراكم تغالون في المهور وتطلبون منها الباهظ ، وتؤثرون الكثير منها على القليل ، وفي ذلك كما يعلم الله انتقاص لإنسانية بناتكم المؤمنات ، حيث تضعونهن موضع السلعة التي يشتط في طلب ثمنها ، وفي ذلك دليل على ضعف إيمانكم ومخالفتكم لأوامر نبينا ﷺ .

واسترسل الشيخ سعيد في حديثه وانخرط في كل أسلاكه ..







وذهل الحاضرون من وقع هذا الكلام في نفوسهم .. وانتقلوا بدورهم إلى عالم الروحانية الصافي وطأطأوا رؤوسهم وبدوا وكأنهم ما أصابوا من الدنيا وما أصابت الدنيا منهم .

* * *

وفي هذه اللحظات الربانية كان يجلس في ذيل المجلس رجلان .. لا تبدو عليهما مظاهر احترام قدسية المسجد وتعظيمه ، وكأنهما ليسا في مجلس علم هذه سماته ، يتهامسان آونة ويتغامزان أخرى ، ويبتسمان ساعة ويتسامران ثانية كأن الله طمس على قلبيهما فهما عن العلم معرضان ، وأعمى بصائرهما فهما لا يفقهان ، وفهم الشيخ سعيد ما وظيفة هذين وما حقيقتهما ، وبحاسته الإسلامية أدرك ماذا يقولان وعن أي شيء يتغامزان ، وأيقن أنهما من رجال عبد الملك بن مروان جاءا ليشوها صورة مجلسه الكريم ..

وبلغت وقاحة واحد منهما مبلغها حين صاح مقاطعًا حديث الشيخ قائلًا :

إنك هنا في المسجد تمثل دور الشيخ الزاهد ، بينما أنت في السوق تجمع المال جمعًا ، وإن ابنتك يتسابق إليها العظماء ، وما أظنك إلا مزوجها أحدهم ، ولم لا تزوجها واحدًا من الفقراء ؟



وهاج الحاضرون وصاحوا غضبًا ، ونهض بعضهم محاولًا إيذاء الرجلين ، وعلا صوت يقول : إن الشيخ على النقيض من ذلك ، وإن حادثة رفضه ثلاثين ألف درهم ، ورفضه كل هبات عبد الملك بن مروان ، تدل على أنه غير لاهث وراء جمع المال .

وقال آخرون : إن تاريخ زهد الرجل وهبته نفسه لله وعباداته لا يجوز أن يقال معها عن الرجل هذا الكلام ، واختلطت الكلمات بعضها ، والشيخ واقف لا يتكلم ، وكأنه يستجمع أطراف حديثه أو ينتظر الإلهام بالجواب !!

وسكت الناس وانتظروا .. وتكلم الشيخ وأرهف الناس أسماعهم له .. حيث قال :

الله .. الله .. !! إن الدنيا حقيرة وهي إلى كل حقير أميل وأحب ، وأحقر منها من أخذها بغير حقها وطلبها من غير وجهها ووضعها في غير سبيلها .

أيها الناس : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلم إلا بالإنكار عليهم في قلوبكم ، حتى لا تحبط أعمالكم ، يد الله فوق الجميع ، فمن رفع نفسه ووضع غيره خفضه الله ، الناس تحت كنف الله يجازون بأعمالهم ، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عورته ،







الله ... الله .. !! ..إياكم وذكر الناس بما ليس فيهم ورميهم بما لم يفعلوا .

والله لو طلبت جمع المال لأتاني مسرعًا .

وقد رأيتموني بينكم أبيع الزيت في السوق بدرهم ودريهمات ، وما فضلت على ذلك عطاء الخليفة من الآلاف والمئات .

والله ما قبلت ، ولن أقبل أن تتزوج ابنتي عظيمًا من العظماء أو وزيرًا من الوزراء والأيام القادمة تريكم برهان ذلك .. الله ، الله ..

وانفض المجلس ، وخرج الناس يتحدثون بكلام الشيخ سعيد ، وبمنزلته في نفوسهم . وخرج الرجلان يحملان كل خيبة وفشل !!

* * *

وأقبل يوم بويع فيه الوليد بن عبد الملك ولي عهد للخلافة ، وطلب من الشيخ سعيد أن يبايع ، ولكنه رفض وصمم على الرفض ، وأبى كل الإباء إلا أن يعلن : أن هذا الوليد غير جدير بالخلافة ، وأن هناك من هو أجدر بها منه .

وكان جزاء الشيخ أن ضرب وعذب وطيف به في الأسواق مهانًا ، وهو باق على تصميمه وعزمه .

وأقبل يوم آخر طلب الخليفة من الشيخ سعيد أن يزوج ابنته من ابنه وولي عهده (الوليد) وأبى الشيخ ، ورفض ، وضرب ، وعذب ، وهو



يقول بملء فيه : لا .. لا .. وبقي أيضًا على تصميمه وعزمه .

وتكررت مواقف الشيخ سعيد بن المسيب ، وذاع في الآفاق صيته ، واجتمع الرجلان المشاغبان المأجوران ذات يوم في مجلس من مجالسهما .

وأسر أحدهما لثانيهما :

ألا ترى معي أننا ظلمنا الشيخ وبعنا ديننا مقابل دراهم يعطيها لنا الخليفة ، أما آن لنا أن نتوب وأن نرجع إلى حظيرة الحق ؟

وردَّ عليه الثاني قائلًا : لقد ساورتني هذه الأوهام ، وفكرت فيما فكرت فيه ، ولكن انتظر حتى تكون حادثة للرجل خالدة فنعلن التوبة يومها ، ونستسمحه ونرجع إلى الله .

وأقبلت حادثة الحادثات ، وآية تقوى الرجل وعلمه بما يقول ، وجلس الرجلان المشاغبان – فقال الأول للثاني :

أما سمعت عن الحادثة ؟

أية حادثة ؟!!

إن الشيخ سعيدًا قد زوج ابنته !!

أمن الوليد بن عبد الملك ؟

لا .. من أبي وداعة ..







ومن يكون أبو وداعة .. أهو كبير من الكبراء ؟

لا .. إن أبا وداعة طالب فقير كان يواظب على مجالس الشيوخ ..

وقد تزوج مرة وماتت زوجته .

يا الله .. تزوج مرة وماتت زوجته وطالب فقير لا مال له ..

إذن وكيف دفع المهر ؟

لقد زوجها الشيخ إياه بدرهم وخاتم من حديد ، بل وأخذها من يدها إلى منزل أبي وداعة وسلمها إياه .

أتصدق في حديثك ؟

نعم والله أصدق ..

« وينتحب الرجل الثاني ويبكي بكاء مرًا فيقول له الرجل الأول » :

ما يبكيك في هذا يا صاحبي ؟

فيرد عليه الرجل الثاني قائلًا :

والله لبكاء اليوم خير من عذاب الغد ، أترضى أن نبيع نحن ديننا إلى هذا الحد ويشتريه آخرون إلى هذا الحد ، لقد تجنينا على الحقيقة وظلمنا الرجل .

وها هي ذي الحقائق تبين لنا مدى جرمنا ، وتؤكد أن هذا الرجل



فلتة من الفلتات ، ونادرة من نوادر التاريخ ، والله إني لأشعر بتقريع ضميري ، وإن العار الذي لحق بي وبك لا بد وأن يسجله التاريخ ، فتبقى سيرتنا في الناس سيرة سيئة ، ونكتب عند الله من المعتدين .

إيه يا أخي : لقد هولت في تجسيم خطبنا ، حتى لكأني أشعر به جرم الدنيا والآخرة ، قل لي بربك ماذا نفعل ؟

لقد بدأ ضميري يستيقظ .. هل عندك من حل ؟

نعم .. هيا بنا فلنذهب إلى مجلس الشيخ سعيد ، ذلك الرجل الطيب القلب ، فإن عفا عنا فتلك رحمة من الله فإن مصيرنا ولاشك غضب الله وعقابه ، هيا بنا هيا .

وفي مجلس الشيخ .. كان الرجلان يجلسان وعلى خديهما أثر البكاء ، وفي قلبيهما سكون وخشوع !!

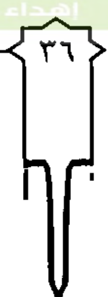
ورأى الشيخ سعيد من الرجلين أثر الذلة وإطراقة طالب العفو . وبحاسة الرجل الصادقة علم لماذا حضرا هذه المرة ! فانفرجت أساريره فرحًا إذ هدى الله على يديه رجلين بعد غيهما .

وبدأ الشيخ في حديثه ، وانتحى به وجهة يخاطب بها الرجلين بطريق غير مباشر كي يهوِّن عليهما الأمر فقال :

ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من







الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب الله نقصه لفضله ، والتوبة والرجوع إلى الحق أفضل الفضائل .

وهنا نهض الرجلان إلى الشيخ فاعتذرا إليه وطلبا الصفح ، فقبل العالم الورع لهما بالمغفرة والقبول .

واستمر – بعد ذلك – في تسجيل كلماته اللؤلؤية ، واستمر التاريخ في تسجيل أزهى آيات الشجاعة في الإسلام :

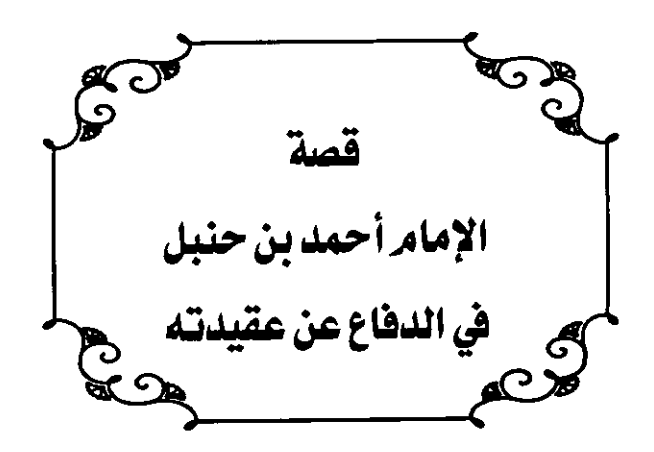
للعالم العامل .. للمجتهد الورع .

للشيخ الجليل الزاهد (سعيد بن المسيب) !!

* * *







قصة
الإمام أحمد بن حنبل
في الدفاع عن عقيدته









في مسجد بغداد الجامع .. يرى الناظر حلقة علمية تصدرها شيخ جاوز الأربعين من عمره وحوله جمع من المصلين .

الجمع منصت عن رضا والشيخ يتحدث في وقار وأدب والمجلس تغشاه رحمة الله وعنايته .

واندلع صوت من الجالسين في الحلقة صائحًا :

سيدنا الإمام ما رأيك في القرآن ، أهو مخلوق أو غير مخلوق ؟

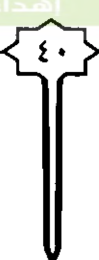
وشخصت الأبصار واشرأبت الأعناق وهمست الأصوات : ما هذه الفتنة ؟ وما هذا الشيطان ؟

كان السائل هو الجعد بن درهم .. رجل من رجالات المعتزلة لا يبحث عن المعرفة ولا يتهمه الاستفادة .. وإنما كل همه أن يرى الصفوف تتفرق والجموع تنصرف من حول هذا الشيخ الذي ذاع صيته واشتهر أمره .

ووقف الإمام (أحمد) وقفة يبحث فيها ويفكر ويقلب الأمر على وجوهه . وكما هي عادة العالم الصادق ألا يخاف في الحق لومة لائم قال للسائل :

إن القرآن ليس بمخلوق لأن المخلوق فان ، وحاشا لكتاب الله أن يعد في الفانين .





واطمأن الحاضرون إلى هذه الإجابة واطمأنوا أيضًا إلى أن إمامهم لا يتحدث إلا عن علم، ولكن الجعد «السائل» نجح في مؤامراته ونال ما تمناه، وخرج ينشر بذور الفتنة بين مذبذبي الرأي، ووجد فيها فرصة ينال بها من هذا الشيخ الذي كاد يقضي على مذهبهم الاعتزالي. ووجد بعض المنسوبين إلى الإسلام من المذبذبين فرصة ينالون بها من وحدة المسلمين فتداخلوا في شئون المسلمين عن طريق ضعاف الإيمان وفتح لهم المعتزلة صدورهم باسم حرية المناظرة والمجادلة فزرعوا بذور التفرقة .. وانسحبوا سالمين .. واشتعلت الحرب بين فريقين .. فريق يرى عدم خلق القرآن .. وآخر يرى عن طريق إدراكه العقلي القاصر أن القرآن مخلوق ..

واستطاع المعتزلة أن يقنعوا الخليفة بمذهبهم فانضم إليهم .. وبدأ يشهر سلاح السلطة والقوة، فأمر بأن يعذب ويسجن كل من لا يقول بخلق القرآن .. وأرسل على الفور إلى العلماء الواحد تلو الآخر كي يرى رأيهم فخضعوا جميعًا .. إلا قليلًا .. وبعد صلاة فجر يوم من الأيام .. والإمام أحمد خارج من مسجد بغداد الجامع في شبه حلقة من المصلين. فوجئ الناس بكتيبة من الفرسان قد أطبقت على الشيخ، وأمسكت بتلابيبه .. وساقته أمام المصلين مهانًا حيث ينتظر استفتاؤه في قضية خلق القرآن.





وعزَّ على المصلين أن يتركوا إمامهم يذهب هكذا وحده فأسرعوا وراءه وأنبأ الحاضر منهم الغائب .. فخرجت المدينة عن بكرة أبيها .. وكلها أمل أن تسمع فصل الخطاب .. والرأي الأخير على لسان هذا الشيخ الورع وهذا الإمام التقي .. في هذه القضية الشائكة .

وهناك .. في ساحة القصر وقف الإمام أحمد يشاهد الجند وهم يزفون البشرى بمقدم حاكم بغداد « إسحاق بن إبراهيم » وفاجأه الحاكم على غير عادته معه بصوت أجش ووجه كلوح ثم قال بلا مقدمات : سمعنا عن رأيك يا أحمد في خلق القرآن .. وهو ما لا يرضاه عقل ولا دين فبعثنا إليك حتى نتأكد من صحة الخبر ونسمع قرارك الأخير فنؤاخذك بما تستحق إن صممت على ما تقول .

وتريث أحمد قليلًا ووضع القضية بين كفتي عقله :

فالأولى تقول هل أنت أحسن من الشافعي ؟ (لقد أفلت من الوقف بإيهامه الولي أنه يقول عن القرآن بأنه مخلوق مع أنه كان يقول على نفسه ، أفلا أستطيع الإفلات مثله ؟ والثانية تقول : لا . لا .. إن الشافعي لم يكن في مثل هذا الموقف لقد كان واحدًا فقط أما أنا فورائي أمة ومن ثم فإنه أول امتحان أستطيع به معرفة إيماني وأيضًا فإنه حكم على كتاب الله يلقى جزافًا وما ذلك من الدين في شيء . وانتصرت





الكفة الثانية انتصارًا باهرًا فلقد صرخ الإمام متحديًا هيبة الحاكم وسلاحه وصاح في الشعب المنتظر رأيه الصائب وحكمه الفاصل :

أيها الناس : أعلن لكم أن القرآن ليس بمخلوق لأن المخلوق فان ، وحاشا لكتاب الله أن يعد في الفانين .

واضطرب الحضور ، وزمجر إسحاق بن إبراهيم الحاكم في عرينه وأمر بالرجل فيضرب ويعذب وسيق وسط الجموع المحتشدة مغلول اليدين وهو يذكر الله ويحوقل والناس تبكي دينا يضيع ، وحاكمًا يضل وعقائد تتحكم فيها القوة .

وفي هذه الآونة كان رجل يدعى خالد بن عبد الله القسري ، من أنصار الإمام أحمد بن حنبل قد أخذ منه الحزن كل مأخذ فأقسم بينه وبين الله لينتقمن ممن تسبب في هذه الفتنة وهو الجعد بن درهم وبيت النية على ذلك .

وبدأ خالد في تنفيذ خطته للانتقام منه فتعمد الاحتكاك بابن درهم وهما في المسجد حتى كادت تقع بينهما مشاجرة لولا أن تظاهر خالد بالحلم ودعاه لأن يتصافيا في البيت ، وهناك .. تمت بداية الصداقة .. بل بداية نهاية ابن درهم ، وأظهر خالد القسري كل مقومات الصفات النبيلة أمام صديقه الجعد حتى أعطاه الجعد ثقته .. واجتمعا ذات يوم



فأسرَّ إليه خالد أن يشاركه في رحلة خارج المدينة واستدرجه حتى انفرد به وهناك ذكره بفتنته والضحايا الأبرياء الذين ذهبوا ضحيتها وضربه بسيفه فقصم ظهره ومات الجعد لتوه .

فرح المسلمون كثيرًا واستبشرو خيرًا حين علموا بموت رأس الفتنة الجعد بن درهم ، وكم تمنوا لو تتم فرحتهم بموت ذنبها المأمون ، وأخذوا جميعًا يتضرعون إلى الله ويرجون منه النجاة والخلاص ، وقد ساءهم ما علموه من أن إمامهم أحمد بن حنبل ، قد سيق ومعه رجل يدعى محمد بن نوح ، مكبلين بالأصفاد إلى الخليفة الظالم – المأمون – وباتوا بأسرهم في هم وكرب عظيم .

* * *

وجاءت الأنباء تترى :

لقد مات محمد بن نوح في الطريق ، ولم يبق إلا الإمام أحمد بن حنبل ، وحده ، واقفًا أمام غضب الخليفة وأمام أنصاره المعتزلة ، وترقب الناس حدثًا مؤلمًا للإمام ، لا سيما وقد علموا بغيظ الخليفة الشديد ووعيده الأليم .

وهنا نترك للتاريخ أن يسجل ، ولصفحاته البيضاء أن تكتب ، ولأصحاب المثل والمبادئ الرفيعة من التفاني والوفاء والإخلاص أن



يبهرونا بقوة إيمانهم ، ومدى تمسكهم بعقائدهم ، وتعصبهم للحق بدون ما رياء ولا نفاق ، وبدون ما جزع ولا خوف .

يقول التاريخ :

لما دخل الإمام أحمد بن حنبل على المأمون ، وعنده – أحمد بن أبي داود (وزيره الضال الذي كان سبب تمسك الخليفة بآراء المعتزلة وكان سببًا في إيذاء أحمد بن حنبل وغيره من المسلمين) لما دخل الإمام على المأمون استشاط المأمون غضبًا ، وقام فزعًا وقال للإمام بصوت عال ، وحدة غضب :

هذا هو سيفي قد جردته من غمده فوالله لا أدخله فيه .. إلا أن تعترف بخلق القرآن .

وسكت الإمام ، وللسكوت هنا معانٍ غير التي عرفناها بيننا – فليس معناه هنا الرضا ، وإنما معناه الاستخفاف والاستهتار ، وزادت حدة المأمون وتمنى لو نطق الإمام ولو بالنفي ، ولكن الإمام ظل على صمته مستخفًا بهذا الخليفة المتجبر مستهترًا بكل ما يملكه هذا الخليفة من قوة وسلطان ، ولما أن رأى المأمون تصميم الإمام أمر أن يطرح أرضًا وأن يجلد بالسياط ، حتى يعترف بخلق القرآن ، وجلس المأمون على كرسيه ، وأمر بجلاده أن يضرب وضربه الجلاد أول جلدة ، وانتظر





الحاضرون توجع الإمام أو على الأقل أن يتفوه بأية كلمة ولشد ما ذهلوا حينما سمعوه يقول : باسم الله .

وتلت أول جلدة ثاني جلدة ونطق الإمام – الحمد لله – وتلتها ثالث جلدة ونطق الإمام – لا حول ولا قوة إلا بالله .

وتلتها رابع جلدة ونطق الإمام أشهدك اللهم أن القرآن ليس بمخلوق لأن المخلوق فان وحاشا لكتاب الله أن يعد في الفانين ..

وهكذا استمر جلاد المأمون يضرب ، والإمام يردد آيات الصبر والتقوى ، شأنه في ذلك شأن المجاهدين الصابرين ..

وهنا كان الغضب قد أخذ من المأمون كل مأخذ ، فقام غاضبًا يضرب الإمام بقدميه ، ويدوسه بنعليه ، ويبالغ في ذلك ظانًا بأن العلماء الحقيقيين تصلح معهم مثل هذه الأساليب الوضيعة ..

وبلغ الغضب من المأمون مبلغًا أكبر حين سمع همس الإمام وهو يناجي ربه قائلًا :

رباه !! .. أشكرك أن أنزلتني منزلة بلال ، ووضعتني موضع الصحابة والتابعين ، ولم يطق المأمون مواجهة هذه القوة من الإيمان التي تتمثل في الإمام ، فأمر من فوره بأن يكبل الإمام بالقيود ، ويوضع في سجن مظلم مع اللصوص والمجرمين !!





استيقظ الناس صبيحة يوم من أيام عام ٢١٢هجرية على صوت في المسجد يصيح : أيها الناس : أبشروا .. أبشروا ، لقد مات المأمون اليوم غير مأسوف عليه ، فانجلت بموته محنة إمامكم ، وانكشفت غمته .

ولكن !!

هل انكشفت المحنة حقًا ؟

يعلم الله أنها لم تنكشف ، بل زادت حدة وغلظة ، فلقد ترك المأمون وصية لأخيه المعتصم ، يرجوه فيها أن ينهج منهجه ، ويسير سيرته في الناس ، خاصة مع القائلين بعدم خلق القرآن .

وفعلًا مضت الأمور في عهد المعتصم على غرار عهد المأمون .. وسيق الإمام ثانية مكبلًا بالأصفاد والأغلال إلى المعتصم الذي أمر بأن يوضع الإمام في سجن مظلم ثمانية وعشرين شهرًا ، وأن يهان ويعذب وينكل به أي تنكيل .

* * *

ومرت الأيام ، وانقضى عام وعام ، والشيخ صابر لقضاء الله مدة تزيد عن العشرين عامًا ، تعاقب فيها الخلفاء الواحد تلو الآخر ، وكل منهم يتفنن في إيذاء الشيخ ، محاولًا بذلك أن يصل إلى انتزاع كلمة من الشيخ الفقيه تخالف ما يضمره في قلبه .

ولكن أنَّى لهم أن يصلوا إلى مبتغاهم ! والإمام صادق الإيمان قوي العزيمة والعقيدة ، والمؤمن إذا دخل الإيمان قلبه فهيهات أن يجبن أو أن يتراجع عن قول الحق ، مهما تجمعت عليه الشدائد أو تراكمت عليه المحن .

* * *

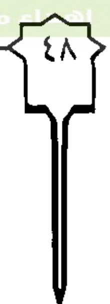
وأقبل عام ٢٣٢هجرية ، وأذن الله للغمة أن تنقشع فمات الواثق بدوره ، وولى على أمور المسلمين رجل مسلم عادل هو (المتوكل) .

ولقد اقتنع المتوكل منذ توليته بآراء الإمام أحمد ، وأيقن أن القرآن ليس بمخلوق ، فما كان منه إلا أن دعا إليه الإمام أحمد ، ومكنه من رقبة (أحمد بن أبي داؤد) ذلك الذي كان يحث المأمون ، ثم المعتصم ، ثم الواثق ، على إيذاء الإمام والتنكيل به ، بيد أن الإمام عفا عنه لوجه الله تعالى .

وخرج الإمام أحمد من منزل الخليفة المتوكل متوجهًا إلى بغداد ثم إلى المسجد الجامع حيث سار ووراءه حشد كبير من الناس يهللون ويكبرون ، ويشكرون الله الذي نصر الحق على الباطل ، وأعاد إليهم إمامهم سالمًا غانمًا ، بعد غيبة طالت ومتاعب انقضت .

وهناك في المسجد الجامع : وقف أحمد فوق منبره ليقول للناس بأعلى



صوته :

(أعلن لكم أن القرآن ليس بمخلوق ، لأن المخلوق فان وحاشا لكتاب الله أن يعد في الفانين) .

* * *





قصة
يوسف الغواص
« الغواص الشهيد »





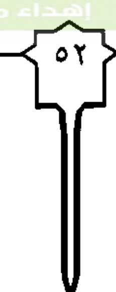
منذ بداية شهر شعبان من عام ٥٨٥هجرية ، والمسلمون في عكا يساندهم جيش صلاح الدين الأيوبي يقاتلون جميعًا حشود الإفرنج الصليبيين الذين يحاصرون مدينتهم قتال الأبطال لا يألون جهدًا ، ولا يملكون دمًا أو مالًا إلا جادوا به وبذلوه ..

وامتد حصار الإفرنج واشتد ساعدهم بالإمدادات الجمة التي كانت تصلهم من معظم دول أوربا ، وتوالت النكبات على المسلمين المحصورين في عكا ، فلم تعد المؤن تستطيع الوصول ، وقد فني معظم جيشهم ، وحل السأم والقنوط في النفوس ، فبلغت به روح المسلمين الحلقوم .

وسط هذا الجو من المصائب وبين هذه العواصف الهوجاء قرر زعماء المسلمين الاجتماع بأبناء الشعب كي يروا أثر هذه المصائب على نفوسهم ، وماذا يريدون وما هي مطالبهم ؟!!

ووقف أحد الزعماء يخطب في الجموع المحتشدة ويقول :

أيها المسلمون : أنتم ولاشك تعلمون ما نحن فيه ، وإنه – يعلم الله – امتحان صعب علينا حله ، فبتنا وإياكم لا ندري ما يأتي به الغد ، وإن غدًا لناظره قريب ، وإنكم أمام طريقين : طريق جهنم وهو طريق العار والخزي في الدنيا والآخرة ، وطريق الجنة وهو طريق الشرف والعزة والكفاح ، فإما أن تستسلموا وحسابكم على الله ، وإما أن



تقفوا موقف الأبطال البواسل فتفوزوا بإحدى الحسنيين – النصر أو الشهادة !!

وهاج الناس وماجوا ، وعلت صيحاتهم مطالبة باستمرار القتال ، ودوى الميدان بالتهليل والتكبير .

وفي خضم هذا الضجيج انطلق صوت من بين الجموع قائلًا :

أيها القائد العظيم ، لقد اخترنا جميعًا طريق الجنة ، وسترى منا العجب العجاب ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، لئن أمرتنا أن نخوض هذا البحر ما أخلفنا أمرك قط .

وصاح به القائد : من أنت أيها الجندي اللبيب ؟!!

أنا عيسى الغواص يا سيدي القائد .

احضر إليَّ يا عيسى بعد انتهاء الاجتماع .

سمعًا وطاعة يا سيدي القائد .

وعلى باب منزل القائد كان عيسى الغواص يستأذن في الدخول وعلى الفور أذن له وبعد أن رحب به القائد خاطبه بقوله :

اسمع يا عيسى لقد رأيت فيك ما أتمناه في كل شاب مسلم ولا أكتمك أننا في حاجة إلى كثير من أمثالك ، أتجيد فنًا من فنون البحار يا عيسى ؟

نعم يا سيدي القائد أجيد السباحة إجادة تامة .



اسمع يا عيسى لقد كنا على صلة تامة بقائدنا صلاح الدين ، أما وأن الحصار قد ضرب علينا فلم يعد باستطاعتنا ذلك .. أتستطيع خدمتنا في هذا المجال ؟

بكل ثقة يا سيدي القائد .. ففي استطاعتي أن أسبح في الماء كما أسير في اليابس .

إذن يبدأ عملنا من الغد بإذن الله فعليك أن تحضر إلينا إن شاء الله غدًا .

* * *

وفي الغد جاء عيسى فأمر القائد بعض جنوده بتجهيزه فجهزوه ، وشدوا على وسطه حزًا ، وعلقوا في عنقه حقيبة صغيرة ، وأعطاه القائد رسائل يبلغها إلى صلاح الدين . وحملها عيسى وسار يسبح في البحر حتى وصل إلى هدفه .

وكم يعجب الناس لرجل كعيسى يسير أميالًا في البحر وقت ما درى العالم فيه فنًا من فنون السباحة الحديثة ، ولكنه الإيمان الذي يدفع صاحبه إلى أعنف المعارك فينتصر عليها ويقحمه في أشد الغمرات فيخرج منها ظافرًا ، وهكذا كان إيمان صاحبنا عيسى رائده في عشرات الأميال التي قطعها عبر البحار ، وقائده في كل ما يطلب منه من خدمات لدينه الحنيف .



وظل أمر عيسى هكذا .. السفير بين المسلمين المحاصرين في عكا وبين صلاح الدين خارجها .. يقوم بحمل الرسائل لصلاح الدين ويعود بالأموال والأوامر منه .

وذات يوم خرج عيسى كعادته يحمل بعض الرسائل إلى صلاح الدين ليعود بالرد عليها بعد أن يوصلها له .

وانتظر المسلمون عودته وطالت مدة غيبته أكثر من ذي قبل ، وقلق المسلمون عليه واضطربت أعصابهم خوفًا وصاروا يخرجون كل يوم إلى شاطئ البحر ينظرون ويتأملون ويدعون الله ويبتهلون .. وعاد عيسى الغواص .. عاد عيسى لا بتلك الهيئة التي ذهب بها ولكنه عاد جسدًا باليًا لا حياة فيه .. عاد جثة تتقاذفها الأمواج ويلعب بها الماء .

وهنا وقف المسلمون مذهولين ، وأطبق عليهم الصمت وعلت وجوههم الكآبة .. وانحنى أحدهم على جثة عيسى ليرى ثلاثة آلاف دينار وبضع رسائل من صلاح الدين ما زالت معلقة في عنقه .

فنظر المسلمون إلى الرجل الذي انحنى ، ونظر ذلك الرجل إلى المسلمين بعد ما رأى من عيسى ثم قال ودمعة تنحدر على خديه :

أيها المسلمون لقد مات عيسى الغواص ولكنه أبى إلا أن يؤدي الرسالة ميتًا كما أداها حيًا فوارحمة الله عليه . فردد المسلمون :

رحمة الله عليه .. رحمة الله عليه .





قصة
عقبة بن نافع
فاتح تونس ، والقيروان
« أعادها الله للإسلام »







تمثل مدينة القيروان بتونس صفحة من صفحات الحضارة الإسلامية التي تستحق العناية والدراسة ، والحق أن أبناء إفريقية – وهذا هو الاسم الذي كان يطلق على تونس حتى العصر الحديث – لم يقصروا في العناية بحضارة هذه المدينة وتاريخها .

بيد أن ضرورة ربط المشرق بالمغرب الإسلاميين توجب علينا – نحن أبناء المشرق – التعرف على هذه الصفحات التي تمثل – شرّقت أو غرَّبت – صفحة من كتاب حضارتنا الإسلامية الخصبة المعطاءة .

وقد بنيت القيروان – واسمها يعني معسكر الجند – سنة خمسين هجرية ، واستمرَّ بناؤها مدة خمس سنوات ، وكان ذلك على يد القائد المسلم عقبة بن نافع أثناء ولايته الأولى على إفريقية ، حين رأى عقبة بثاقب بصره أن (عدم الثبات) الذي يمتاز به فتح المسلمين للمغرب ، يرجع إلى أنهم يفتقدون (قاعدة) متقدمة ، يستطيعون الاعتماد عليها أثناء امتدادهم في أعماق إفريقية والمغرب .. وعلى هذا الأساس وانطلاقًا من هذا التخطيط اختطَّ عقبة مدينة القيروان في موقع يناسب الوظيفة الحضارية التي شيدت من أجلها ، فجاءت القيروان بعيدة عن الساحل خوفًا من غارات البيزنطيين ، وبعيدة عن أعماق المغرب بنجوده وصحاريه خوفًا من غارات البربر .





وكان عقبة بن نافع يعرف المنطقة معرفة جيدة ، فقد عاش وقاتل وتنقل وقاد البعوث ، واتصل بالناس ، الأصدقاء منهم والخصوم ، كان يدرك أن القتال في شمال إفريقية لا يمكن أن يعتمد على قاعدة أساسها مصر أو حتى برقة ، إذ تصبح عندها خطوط المواصلات طويلة ، ويتعذر على عقبة أو غيره من القواد أن يزودوا بحاجتهم من الرجال والمال والمؤن ، وأدرك عقبة بثاقب نظره أن قاعدة القتال يجب أن تنقل إلى الأراضي الإفريقية ، لكن عقبة كان يعرف أن الدولة الإسلامية الجديدة لم تكن دولة بحرية بالدرجة الأولى مع أن المسلمين هزموا الروم (بحريًا) في موقعة ذات الصواري قبل بناء القيروان ، لكن مع ذلك كان الروم وهم أصحاب أسطول كبير يستطيعون دومًا إزعاج البحرية الإسلامية ، ومن هنا نجد عقبة بن نافع يختار مدينة القيروان ليقيم فيه قاعدة حربية وفق الشروط التخطيطية التي ذكرناها ، ثم يقوم عقبة بتمصير هذه المدينة العظيمة التي لا تزال قائمة إلى الآن [(١)] .

ونحن عندما ندرس موقع هذه المدينة حاليًا ، ونعود إلى شيء من تاريخ أسلافها قبل إنشاء عقبة لها ، يمكننا أن نلاحظ الأمور التالية بشأنها :

١ - إنها تقوم في مركز تقاطع خطوط وطرق من الشمال إلى الجنوب

---

(١) صفحات مغربية نقولًا زيادة ص٢٠ .





ومن الشرق إلى الغرب .

٢- إنها تقع في مكان خصب وفيه ماء ، حتى لقد جاء في ابن عبد الحكم عند ذكرها أنها كانت « واديًا كثير الشجر تأوي إليه السباع والوحوش والهوام » ولعل هذا كان على مقربة منها .

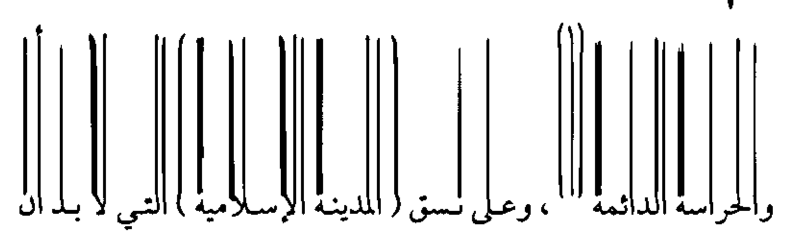
٣- إن هذه المنطقة ، على ما يحدثنا الجغرافيون العرب ، كانت كثيرة الأمصار والقلاع والحصون أيام البيزنطيين ، ولعل حصن قمونية أهمل فتخرب ، لكن ذلك لم يحجب عقبة عن معرفة قيمتها في التخطيط العسكري والرؤية الحضارية .

لقد كان اختيار موقع القيروان موفقًا بل بلغ من التوفيق في اختياره أن ولاة المغرب ومن خلفهم من الحكام المستقلين أقاموا بها زمنًا طويلًا ، ولم ينتقلوا عنها إلا حينما اضطرتهم ظروف سياسية جديدة إلى ذلك ، كما كان موقعها الحربي معروفًا ملحوظ الأهمية ، إذْ كان الحاكم الذي يتخذ هذا الموضع مركزًا لأعماله يستطيع أن يرى العدو من بعيد ويتحرز من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البربر .

وإذا أراد أن يطاردهم إلى هضابهم وجد الطرق مفتحة أمامه ، إذا كان يستطيع بعد مسير بضع ساعات الوصول إلى أعالي الهضاب إذا كانت لديه القوة الكافية لذلك ، كذلك كان فرسانه الخفاف قديرين على أن يقوموا بهذا الموضوع من أعمال الاستطلاع وبالغارات السريعة







والحراسة الدائمة[1]، وعلى نسق (المدينة الإسلامية) التي لا بد أن يتحقق لها إطار الهندسة الإسلامية، في مرافقها العامة الأساسية التي تميزها عن بقية مدن العالم .. على هذا النسق المستمد من طبيعة الحضارة الإسلامية التي كانت مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام نموذجها الأول – اختط عقبة فور شروعه في بناء القيروان المسجد الجامع، ثم دار الإمارة، ثم بيوت الجند، ثم دار القضاء، وما إلى ذلك من مرافق أساسية.

وحقيقة أن القيروان تطورت ونمت فيما بعد، لكن عقبة أنفق الكثير من المال والوقت، فقد أرادها أن يكون فيها عسكر المسلمين وأهلهم وأموالهم في مأمن من ثورة أو انقضاض، وقد بقي أثر تخطيط عقبة للقيروان مستمرًا في تاريخها كله، وهذا لا يعني إغفالًا للجهود التي بذلت في عصور القيروان التالية، وبخاصة في ذلك العصر الذي تألقت فيه، وأصبحت حاضرة العلم والثقافة الأولى في المغرب الإسلامي كله، وهو عصر بني زيري الذين ورثوا الفاطميين بعد أن نزحوا إلى مصر سنة ٣٦٠هـ.

وقد استطاع أحد الأمراء من بني زيري، وهو المعز بن باديس الذي حكم تونس على امتداد النصف الأول للقرن الخامس الهجري كله

(١) المكان السابق.



تقريبًا ، استطاع هذا الأمير أن يعيد المذهب السني إلى مكانته ، ويقضي على البدع والخرافات التي خلفها الفاطميون ، وتحولت القيروان في عهده إلى مدينة من المدن الكبرى التي يؤمها العلماء والشعراء والنبغاء ، والتي يجد فيها كل هؤلاء الأمن والرعاية والتشجيع ، على غرار دمشق وبغداد والقاهرة وبجاية وقرطبة وإشبيلية وغيرها من الحواضر الكبرى في ذلك العصر .

وقد ظل حالها كذلك حتى دهمتها قبائل بني هلال وبني رياح وبني سليم بتشجيع من المستنصر الفاطمي سنة ٤٣٩هـ فانطوت – لفترة قصيرة – صفحة القيروان في الحضارة الإسلامية ، إلى أن عادت – مرة أخرى – تؤدي دورها كواحدة من المدن الإسلامية ذات التاريخ الطويل والعطاء الحضاري الخصب .

لقد قام المسجد الجامع المعروف عند التونسيين باسم (الجامع الأعظم) والمنسوب إلى الصحابي الجليل عقبة بن نافع بدور أساسي في تحضير القيروان أيام مجدها ، ولا زال ، وقد انضم إليه جامع الزيتونة الذي بنى سنة (٩١هـ) على يد « إسماعيل بن عبيد الأنصاري » وقد انتشرت في القيروان المساجد ذات الوظيفة التعليمية كما انتشرت المدارس والكتاتيب ، وقد اشتهر من العلماء والفقهاء في عصر القيروان الزاهر أبو عمران الفاسي المتوفى سنة ٤٣٠هـ كما اشتهر أبو بكر أحمد بن

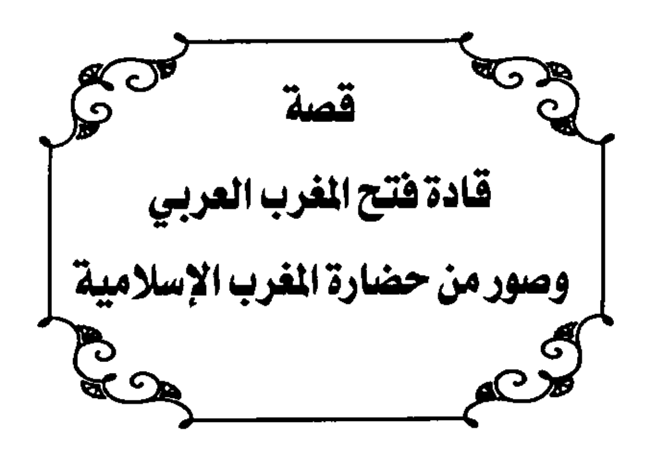


عبد الرحمن الخولاني المتوفى سنة ٤٣٥هـ والشيخ (أبو علي حسن بن خلدون البلوي) ، والشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الطرابلسي وعبد الرزاق القيرواني النحوي ، وأبو جعفر القزاز القيرواني النحوي ، وعلي بن عبد الجبار سلامة بن عيذون الهذلي اللغوي ، وعبد العزيز بن محمد القرعي الطارقي الأديب ، وابن زنجي الكاتب ، وعبد الكريم النهشلي كاتب المعز بن باديس ، وتلميذه المعروف ابن رشيق صاحب العمدة .

وثمة مئات غير هؤلاء في سائر المجالات ممن لا يمكن حصرهم ، ظهروا في حياة القيروان ، وكانوا دررها اللامعة ، الذين جعلوا صفحتها في تاريخنا الإسلامي واحدة من أروع الصفحات ، ونموذجًا من أقوى الدلائل على عمق إسهام (المدينة) المغرب الإسلامية في حضارتنا الطيبة الخصبة .






قصة
قادة فتح المغرب العربي
وصور من حضارة المغرب الإسلامية

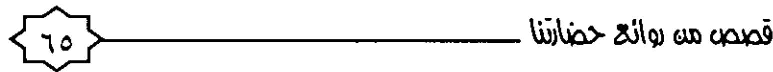


www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة



الجديد
و
الطريف
NEW & EXCLUSIVE





دخل المغرب العربي في الإسلام بعد فترة من الفتح امتدت نحو سبعين سنة ، فقد بدأ الفتح منذ سنة ٢٣هـ ، واستمر حتى عام ٩٠هـ فهو – بهذا – أطول فتح إسلامي في التاريخ .

وقد برز في فترة الفتح هذه أبطال مسلمون ضربوا أروع الأمثال في الإخلاص لدينهم والأناة في نشره ، والاعتماد على فتح أقفال القلوب والعقول وليس لمجرد التسلط والاستغلال ، ومن هؤلاء عقبة بن نافع باني القيروان ، وفاتح تونس ، وأبو المهاجر دينار فاتح الجزائر والذي أسلم على يديه أحد فرعي البربر الكبيرين ، وهم البرانس ، وحسان بن النعمان الذي أخضع الفرع البربري الآخر للإسلام ، وهو فرع البنز ، وموسى بن نصير الذي كان له فضل كبير في إتمام المغرب إسلاميًا ، وعربيًا .. بل والاستعانة بهؤلاء البربر أنفسهم ، وهم حديثو عهد بالإسلام في فتح الأندلس – ٩٢هـ ، بقيادة مولاه البربري طارق بن زياد !!

إن هذا المغرب الإسلامي ، ما إن استقر الإسلام في وجدانه – حتى بدأ ينصهر في بوتقة الحضارة الإسلامية ، ويشكل بمدنه الكبرى التي ظهرت في التاريخ حافلة بالحياة والحركة صفحة رائعة من صفحات حضارتنا الإسلامية .

ففي القرن الثاني الهجري الذي أعقب فترة الفتح مباشرة تألقت



مدن مغربية كثيرة ، كان من أبرزها (تاهرت) عاصمة بني رستم في الجزائر والمهدية عاصمة الأغالبة في تونس ، وفاس عاصمة الأدارسة في المغرب الأقصى ، أما في القرن الرابع الهجري ، ثم الخامس .. فقد اتسعت دائرة المراكز الحضارية ، وتألقت بعضها تألقًا عظيمًا حتى أصبحت مدنًا شبه عالمية ، وعلى رأس هذه المدن تقف (القيروان) عاصمة بني زيري ، وبجاية عاصمة بني حماد ، ومراكش عاصمة المرابطين .

ومنذ القرن الرابع الهجري الأنف الذكر ، والعربية هي الغالبة على اللسان المغربي ، والمشرق يبدو وكأنه قد أعطى المغرب ما يكفيه ليبرز ذاته في إطار الإسلام ، وفي وعاء العربية ، ويحكي المؤرخون أنه بدءًا من هذا القرن صار المغاربة يزاحمون العرب في لغة الضاد ، وأصبح علماء البربر يناظرون فقهاء العرب في قواعد الأصول وتفاريع الفقه ومبادئ علم الكلام ، وقريبًا من منتصف القرن الخامس الهجري حدث ما هو معروف عن زحف القبائل العربية من بني هلال وبني سليم على المغرب ، وقد أدى هذا إلى تعريب المغرب تعريبًا شبه كامل .

ومن الجدير بالذكر هنا أن (المسجد) قام بدور كبير في تعريب المغرب وتثقيفه ، وقد عرف المغاربة ملحقًا بالمسجد أطلق عليه (المسيد) وكان هذا الملحق أو (المسيد) مفردًا للناحية التعليمية .. أي أن المسجد





في المغرب كان مسجدًا ومدرسة في الوقت نفسه . كما عرف المغاربة الكتاتيب ، وبالطبع فإنهم نقلوها عن المشرق ، وإن كانوا في بعض الأحيان أطلقوا هذه عليها لقبًا خاصًا هو (الشريعة) ، وغالبًا ما تكون الشريعة مدرسة في البادية ، ومن المحتمل أن تكون الشريعة هي المدرسة البدوية في مقابل (المسيد) الذي هو المدرسة الحضرية .

* * *

والغريب أننا نعجب حين نعلم أنه في المدن الغربية الكبرى في فترة القرون عرف لون من التعليم الجامعي (كمعهد سيدي التواتي) في بجاية الذي كانت تدرس فيه العلوم الفلكية وغيرها ، وفي هذه الجامعات عرفت منزلة الاختصاص ، بل وقدمت بعض الأطروحات ، وتوفرت المكتبات العامة ، بل وعرف نظام الأساتذة الزائرين والمحاضرين ، فخلال القرن الخامس الهجري – هذا – وفي معهد سيدي التواتي قام بإلقاء المحاضرات علماء من أسبانيا وإفريقية والشرق ، وقد ارتحل إلى الجزائر ابن حمديس الصقلي الشاعر ، وعاش في كنف حكامها من بني حماد الزيريين .

كما أنه خلال هذا العصر غصت الحواضر كبجاية والمهدية وفاس والقلعة وأشيروطبنه والزاب والمسيلة ، بمئات العلماء من الفقهاء والنحاة والمفسرين والأدباء والرياضيين وغيرهم .



ويدل على كثافة أعداء العلماء ما أورده (أبو العباس الغبريني) عن علماء بجاية وحدهم في قرن واحد ، وذلك في كتابه المعروف : عنوانه (الدراية في علماء المائة السابعة ببجاية) .. والغبريني نفسه - بعدما أورده - يعتذر بقوله : « وقد بقي خلق كثير من أهل المائة السادسة ولكن شرط الكتاب (أي منهجيته) منع من ذكرهم .. ثم يورد الغبريني نقلًا عن أبي علي المسيلي (من المسيلة) يقول فيه : « لقد أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتيًا منهم من يعرفني » فإذا كان المفتون في جبل واحد تسعين ، فكم يكون المحدثون والنحاة والأدباء وغيرهم في هذا البلد الواحد !!

وجدير بالذكر أنه مع أن المذهب المالكي سيطر على المغرب ، كما سيطر على الأندلس - إلا أن المغاربة لم يكونوا - في كثير من الأحايين مجرد متبعين ، بل ظهر منهم طائفة مجتهدون من أعلام الفقه كابن أشرس والكتامي والبرادعي وغيرهم ممن أوردهم ابن فرحون صاحب كتاب (الديباج في أعيان المذهب) .

* * *

وخلال القرون التالية سواء في عصر بني عبد الواد في الجزائر ، ومعاصريهم من بني حفص في تونس ، وبني مرين في المغرب الأقصى ، ظلت الحركة العلمية نشطة تستمد قوتها من تلك الدول العظمى





التي سيطرت على المغرب في القرنين الماضيين ، وهم المرابطون والموحدون .. وقد ظهر دور جديد للمغرب على مسرح حضارتنا ، وهو دور ذو شقين .. شق يتعلق بواجبه في مناصرة الأندلس من جانب ، وشق في إفساح المجال للاجئي الأندلس والإفادة منهم – حضاريًا – من جانب آخر ، مما جعل الأثر الأندلسي يبدو قويًا خلال هذه القرون على طابع الحضارة الإسلامية في المغرب .. بل جعل مدنًا مغربية بأكملها تبدو وكأنها مدن أندلسية .

* * *

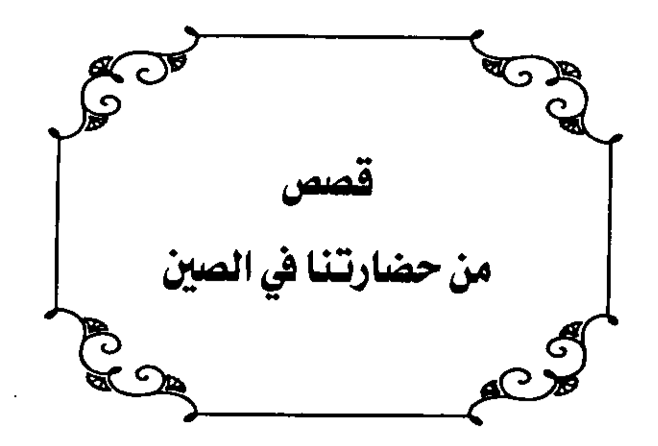
إن هذه بإيجاز بعض خيوط جمعناها من نسيج الحضارة المغربية الإسلامية ، وإنه لنسيج إسلامي فيه من أصالة العروبة المسلمة الكثير ، وفيه من عبق البيئة المغربية والأندلسية لون ورواء ، وإنه لنسيج يحتاج إلى مزيد من المعايشة والدراسة والأذكار .

* * *









قصص
من حضارتنا في الصين







تفوق الأرض الإسلامية الخاضعة للنفوذ الشيوعي الصيني مساحة عدة دول أوربية مجتمعة ، وتحتضن أرض هذه البلاد الإسلامية ثروات طبيعية متنوعة على رأسها النفط والأورانيوم والنحاس والحديد والذهب وغيرها .

ومعظم البلاد الإسلامية الواقعة تحت الاحتلال الشيوعي الصيني تنضوي تحت اسم (تركستان الشرقية) ، بعد أن اتفق المعسكران الكبيران (روسيا والصين) على تقسيم تركستان الإسلامية بينهما ، فسيطر الاحتلال السوفيتي على تركستان الغربية ، وسيطر الاحتلال الشيوعي الصيني على تركستان الشرقية ، وكان هذا الاتفاق المشئوم سنة ١٩٤٩م .

وقد أرسل الخليفة الراشدي عثمان بن عفان وفدًا إلى الصين ، في صفر سنة ٣١هـ ، ٦٥١م في عهد أسرة تانغ ..

وقد دخل الإسلام إلى تركستان الشرقية على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وقد بدأ دخول الأتراك للإسلام زرافات وجماعات في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، وكان هذا الامتداد المفاجئ بسبب إسلام السلطان (ستوق بفراخان) سنة ٣٥٣هـ ، فأسلم الشعب التركستاني كله ، بعد أن كان انتشار الإسلام يمشي بطيئًا وهادئًا لقيامه على الدعوات الفردية والجهود المخلصة المحدودة !!

وعدد السكان المسلمين في تركستان الشرقية يقترب من عشرين مليونًا كلهم متدينون شديدو التدين ، إلا أن عدد المسلمين في الصين قد بلغ أكثر من خمسين مليون مسلم صيني ، حسب آخر إحصاء رسمي أجري في الصين عام ١٩٣٦ .

وقد تعرض هذا العدد لنقصان شديد نتيجة الإبادة الشيوعية الجماعية التي تعرضوا لها [١] ، على يد حكومة ماوتسي تونج ، ولا أحد يستطيع الآن أن يعرف عددهم الصحيح ، لكنه من المحتمل أن يكون المسلمون قد فقدوا قريبًا من نصف عددهم في مجازر الزحف الشيوعي والثورات الثقافية البربرية .

وقد كان لهؤلاء المسلمين الصينيين تاريخ عريق ، ودور إسلامي كبير ، وصفحة من الصفحات الرائعة في حضارتنا استمرت نحو ألف سنة ، ونأمل أن تستأنف مسيرتها بإذن الله .

لقد تمكن العنصر التركي الإسلامي الأصيل أن يقضي على دولة كوك تورك التي عاشت بين سنتي ٥٥٢ ، ٧٤٥م ، وقد هزموا الغزاة الصينيين في موقعة مشهورة في التاريخ التركستاني ، وتعرف باسم

(١) انظر فؤاد كرم : الإسلام والمسلمون في الصين الشيوعية ١٤ وما بعدها طبع بيروت .



موقعة (تالاس) وكان ذلك في سنة ٧٥١م ، أي في منتصف القرن الثاني الهجري على وجه التقريب ، ومنذ هذا التاريخ ، ولعشرة قرون كاملة عاشت تركستان منطقة مستقلة تحكمها دول إسلامية نابعة منها ، كالدولة الأويغورية التي كان لها السيطرة الكاملة في تركستان ومنغوليا وولاية كانسو في الصين ، وقد فرضت هذه الدولة الأويغورية هيبتها على الصين ، فراجت التجارة ، وحميت الطرق ، وانتشر التراث الإسلامي ، وقد استطاعت هذه الدولة أن تعيش قرنًا كاملًا حتى انتهت على يد هجمات القيرغير لمنغوليا ، ولجوء كثير من التركستان إلى الغرب المنغولي سنة ٨٤٠م ، ولم يكن من الأويغور التركستان ، بعد هجوم القيرغير عليهم ، وشدهم الرحال نحو الغرب – إلا أن استقروا في تورغان ، وبسن باليق وإيلي ، وشكلوا هناك إمارتي (بسن باليق) و(تورغان) ، ثم نهضوا نهضة ثانية ، وفرضوا تهديدهم على الصينيين ، وكونوا – مع غيرهم من العناصر الإسلامية – عدة ممالك إسلامية متجاورة ، واتحدت هذه الإمارات والمماليك بعيد سنة ٩٢٠م ، أي مع بداية القرن الرابع الهجري حتى ظهر جنكيز خان مع مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، فضم كل هذه الأقاليم تحت رايته .

وخلال هذه القرون كانت تركستان الشرقية مركزًا أساسيًا للوجود





التركي ، ومحطا رئيسًيا لنشاط الأتراك في شتى نواحي الثقافة والمدنية ، وقد تركوا آثارًا إسلامية كثيرة في المعمار والفنون والآداب والعلوم ، وقد بنوا من المساجد ، نحو أربعين ألف مسجد ، وعلى الرغم من تعرض التركستان لضغوط نصرانية وبوذية ومانوية ، فإن الشعب التركستاني المسلم لم تبرز في حضارته أية مؤثرات خارج نطاق الحضارة الإسلامية .

وإن تراث الدول التركستانية التي قامت في تركستان الشرقية ، ولاسيما في عهود الأويغور ، والقراخانيين ، لتدلنا على عمق تأثير الحضارة الإسلامية ، وهي – من جانب آخر – شاهد نفي ، وحد مانع ضد الادعاءات الصينية الشيوعية [1] . » وقد قام المسلمون الصينيون بدراسة العلوم الإسلامية والعربية وإدخالها إلى الصين وخاصة علم الطب والرياضيات والفلك ، أما الأدوية والوصفات والمعلومات الطبية الأخرى التي نقلوها إلى الصين فقد ذكرت في صفحات كثيرة من كتاب (أصناف العقاقير الصينية) الذي طبع في القرن الثاني عشر ، وكتاب (الموسوعة الطبية الصينية) الذي طبع في القرن السادس عشر ، وكان المسلمون الصينيون يقومون برصد أحوال الجو بمساعدة علم الفلك العربي والفارسي .

(١) انظر عيسى ألب تكين (قضية تركستان) ص٦٧ .





وفي القرن الثالث عشر أنشئت إدارة إسلامية خاصة بمراقبة الأرصاد الجوية ووضع التقويم الصيني ، وفي سنة ١٢٦٧ اخترع الفلكي المسلم جمال الدين « المنوأة المتعددة الحلقات » و« المنوأة الموجهة » « والكرة السماوية » و« الكرة الأرضية » ... إلخ ، وكان التقويم الهجري مرجعًا لوضع التقويم الصيني على مدار أربعمائة سنة ابتداء من أواسط القرن الثالث عشر ، وفي عام ١٣٨٢ تكللت جهود أحد مشايخ المسلمين بالنجاح في ترجمة الكتب العربية الخاصة بالتقويم والجغرافيا والفلك مما كسب الإطراء من قبل بلاط الإمبراطور ، وحيث إن الرياضيات هي أساس علم الفلك فقد انتقلت الكتب الرياضية العربية هي الأخرى إلى الصين في الوقت بالذات ، وقد أثبتت ذلك السجلات التاريخية في عهد أسرة يواه ، ومن جراء ذلك انبثقت أعداد كبيرة من الأكفاء في علم الفلك والرياضيات من بين المسلمين الصينيين ، في عهد أسرتي يوان ومينغ .

وقد عرف المسلمون الصينيون بمهارتهم الفائقة في البناء المعماري ، ففي الأيام الأولى من قدومهم إلى الصين بنوا مساجد في تشانفآن وقوانفتشو وتشيوانتشو وهانفتشو تيسيرًا لأداء شعائرهم الدينية ، من ذلك أن مسجد هانفتشو الذي بناه علاء الدين في القرن الرابع عشر كان







قد نال ثناء الرحالة العربي ابن بطوطة وقت زيارته للصين ، وقد رمم هذا المسجد مرات عديدة فهو لا يزال باقيًا حتى وقتنا الحاضر ، وقد تكفل بختيار علاء الدين البناء المرموق بمهمة تخطيط بناء القصور لأسرة يواه الملكية سنة ١٢٦٦م مما أرسى أساسًا لبناء قصر الإمبراطور الحالي ببكين »[١] .

ولقد قام المسلمون الصينيون بدراسة العلوم ، وكان عاملًا من عوامل نشرها بين الصينيين من الأجناس الأخرى . وكان مما نشروه علوم الطب والرياضيات والفلك ، بالإضافة إلى علوم الأدوية والعقاقير التي ورد ذكرها في كتاب « أصناف العقاقير الصينية » الذي طبع في القرن الثاني عشر الميلادي - السادس الهجري - وكتاب « الموسوعة الطبية الصينية » المطبوع في القرن العاشر الهجري .

وقد برز الصينيون المسلمون في رصد أحوال الجو بمساعدة علم الفلك العربي والفارسي وقد أنشأوا في القرن السابع الهجري إدارة إسلامية خاصة بمراقبة الأرصاد الجوية ووضع التقويم الصيني ، وقد اخترع الفلكي المسلم « جمال الدين » الكرة السماوية ، والكرة الأرضية ، وبعض الأجهزة الأخرى ، ولذلك كان التقويم الهجري مرجعًا لوضع

---

(١) كمال الدين باي شيوبي : مساهمة المسلمين الصينيين في التاريخ « محاضرة بملتقى الفكر الإسلامي الثالث عشر بالجزائر » .



التقويم الصيني على مدار أربعمائة سنة ابتداء من منتصف القرن السابع الهجري كما يذكر « كمال الدين باي شيو » نائب رئيس الجمعية الإسلامية للصين وكما ألمعنا .

وفي نهاية القرن الثامن الهجري نجح أحد المسلمين في ترجمة الكتب العربية الخاصة بالتقويم والجغرافيا والفلك والرياضيات إلى الصينية .

وفي القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة برز « وانغ واي يوى » في الدفاع عن الإسلام فألف كتبه « الإجابات الصحيحة عن الحق » و «حقيقة الإسلام » و« شريعة الإسلام » وغيرها – كما ألف الشيخ يوسف ماتشو كتاب « إرشاد المسلمين » في عشرة أجزاء .

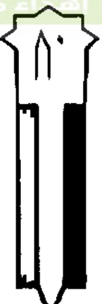
وألف ليوتشه « حقائق الإسلام » في ستة أجزاء و« سيرة خاتم الأنبياء » في عشرين جزءًا ، وأحكام الإسلام في عشرين جزءًا .

وقد ألف الشيخ ماده شين « صفوة أصول الدين » و« مقصد الحياة » و« التعريف بروح الإسلام » و« أحكام الدين » وقد طبعت من مؤلفاته نحو ثلاثين جزءًا .

* * *

لقد كان وانغ واي يوي (١٥٦٠ – ١٦٢٠) أول من كتب عن الدين باللغة الصينية ، وقد ألف كتابًا تحت عنوان « الجوابات الصحيحة





عن الحق » أجاب فيه على التساؤلات عن الدين الإسلامي ، وقد طبع هذا الكتاب مرات عديدة في طبعات مختلفة وحظي بالشعبية الواسعة بين المسلمين الصينيين ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كتب « حقيقة الإسلام » و« شريعة الإسلام » وغيرهما من الكتب الخاصة بالتوحيد والفقه وأحكام الدين .

إن الشيخ يوسف ماتشو (١٦٤٠ - ١٧١١) وهو مؤلف كتاب (إرشاد المسلمين) في عشرة أجزاء ، ويفوق لبيوتشه (١٦٥٥- ١٧٤٥) المألوف في كمية التأليف والترجمة ومن مؤلفاته (حقائق الإسلام) في ستة أجزاء ، و(سيرة خاتم الأنبياء) في عشرين جزءًا ، وأحكام الإسلام في عشرين جزءًا ... إلخ .

أما الشيخ مادة شين (١٧٩٤ - ١٨٧٤) فهو مؤلف مرموق وإمام متعمق في علوم الدين كان يقوم بتدريس الطلاب في المسجد ويمارس في الوقت نفسه الترجمة والتأليف ، ومن مؤلفاته وترجماته : (صفوة أصول الدين الأربعة) ، و(مقصد الحياة) ، و(تعريف روح الإسلام) ، و(أحكام الدين) ... إلخ ، وقد طبعت من مؤلفاته ثلاثون مؤلفًا وهي تتناول شتى المواضيع مثل شرائع الدين وأحكامه والفلك والجغرافيا وقواعد اللغة العربية والبلاغة ، وقد كتبت بعضها على يده وبعضها الآخر بتعاونه مع غيره .. مع العلم بأن بعضها مكتوبة باللغة الصينية

وبعضها الآخر مكتوبة باللغة العربية أو اللغة الفارسية ، أو باللغتين معًا ، وقد عاجلته المنية مع الأسف بعد ترجمته خمسة أجزاء من القرآن الكريم إلى الصينية فقط .

وبالإضافة إلى هؤلاء الأربعة المشهورين في عهد أسرة تشينغ فإن هناك العديد من أشباههم نحو جيون شي « ١٥٦٧- ١٦٥٧ » ، وتسون تشي « ١٥٩٨- ١٦٩٨ » وغيرهما .

وجدير بالذكر أن سليمان دودن شيو « ١٨٢٨- ١٨٧٢ » هو أول من قام بطبع القرآن الكريم في الصين على طريقة النحت الخشبي في سنة ١٨٦٢ [(١)] .

وقد ظهر عدد كبير من المسلمين البارزين في حقول السياسة ، ويعتبر السيد شمس الدين « ١٢١١- ١٢٧٩ » فذا منهم ، وقد عين حاكمًا إداريًا لمقاطعتي شنشي ويوننان على التوالي ، وكان قد أقام نظام الزراعة الجماعية وقام بإنشاء المدارس والمساجد وبناء الكباري وشق الطرق الجبلية وإقامة مراكز البريد وبناء مشاريع الري وإدخال البذور الجديدة والدعاية لاستعمال وسائل الإنتاج المتقدمة لتطوير الاقتصاد المحلي .

---

(١) المرجع السابق .

ويظل هذا السياسي العادل والنزيه موضع الاحترام والتقدير لدى أهالي مقاطعة يوننان حتى يومنا هذا بما قدمه من الخدمات الجليلة ، ويعتبر ابنه نصر الدين المتوفى سنة ١٢٩٢ وابنه الآخر حسن المتوفى سنة ١٣١٠ وكذلك قاوكه قونغ والمؤلف الكبير شمس الدين المذكوران آنفًا وكلهم من الساسة المسلمين المشهورين وتبعهم هاي تسوي (١٥١٤ - ١٥٨٧) الحكم المسلم النزيه الفذ في تاريخ الصين .

وقد ازدهرت طرق المواصلات البرية بين العرب والصين ، وهي التي عرفت بطريق الحرير وأما طريق البحر ، فيتلخص فيما يلي :

في الفترة الممتدة من أواخر القرن السابع إلى أواخر القرن الخامس عشر كانت موانئ الصين والأماكن المجاورة لها مثل قوانفتشو وتشيوانتشو وفوتشو ومينغتشو ويانفتشو مرتادًا لمسلمي مختلف الأقطار والعلماء والرحالة المسلين الذين كانوا يتقاطرون على الصين بحرًا ، وعندما كانت التجارة في أوج ازدهارها بلغ عدد تجار المسلمين الأجانب المقيمين في ميناء صيني واحد عشرة آلاف شخص ، أما التجار الصينيون بما فيهم المسلمون فقد كانوا قد سافروا إلى جنوب شرقي آسيا وسواحل المحيط الهندي للتجارة ، وفي القرن الثامن والتاسع الميلادي كان في بغداد سوق مخصص لبيع بضائع الصين مثل



الحرير والأواني الصينية بينما كان في مدن تشانفآن وقوانفتشو ويانفتشو أسواق خاصة ببيع منتجات العرب والفرس ، وعندما كان الرحالة العربي بن بطوطة يتحدث عن أحوال العرب في قوانفتشو قال : إن قوانفتشو « أكبر مدينة في العالم » ولها « أجمل سوق في الدنيا » وحين زيارته لتشيوانتشو اعتبرها « مركز التجارة العالمي » ، ويعرف من تدويناته أن للتجار العرب ولعًا بجمع الأواني الصينية والخزفية والأحجار الكريمة لنقلها إلى الهند واليمن ، وطوال الفترة التي تتراوح بين ثمانية وتسعة قرون كان الصينيون يستوردون من الخارج العطريات والسكر والجوخ والعاج وقرون الكركون والمرجان واللؤلؤ والكهرمان بينما يصدرون إلى الخارج الحرير والحرير الرقيق والسندس الدمقس والأواني الخزفية والجماكية والأواني الذهبية والفضية والمسك والأدوية الصينية .... إلخ .

وفي هذه الفترة بالذات نقل المسلمون ما اخترعه الصينيون من صناعة الورق الإبرة المغنطيسية والبارود إلى الأقطار الأوربية [(١)] .

وفي قديم الزمان كان هناك كثير من الرحالة العرب زاروا الصين بل وخلفوا وراءهم مذكرات سياحية ، من ذلك أن سليمان التاجر العربي

(١) المرجع السابق .

قد أبحر في القرن التاسع إلى الصين عبر شبه قارة الهند والبنغال وباكستان وبعد عودته إلى بلده دوَّن مذكراته السياحية سنة ٨٥١م بعنوان (سلسلة التواريخ) ، وبعد وقت قصير من ذلك أضاف أبو حسن بعض المحتويات إلى الكتاب ، هذا هو أول كتاب تذكر فيه أحوال الصين استنادًا إلى مشاهدات العرب في الصين ، وفي القرن الرابع عشر غادر الرحالة العربي ابن بطوطة شمال إفريقية إلى الصين ، وقد ترك أثره في بكين وتشيوانتشو وقونفتشو كما دوَّن في مذكراته ما شاهده من أحوال التجار المسلمين الإفريقيين في الصين وأحوال مجتمع الصين واقتصادها وعاداتها وتجارتها وصناعتها الحرفية ومناظرها الطبيعية وجغرافيتها . وجدير بالذكر أن البحار تشنغ المشهور في العالم هو من مسلمي مقاطعة يوننان من قومية خوي ، وقد سافر جدُّه وأبوه إلى مكة لأداء فريضة الحج . وفي سنة ١٤٠٥ أمرته حكومة أسرة مينغ بالإبحار على رأس أسطول ضخم يتألف من ٦٢ سفينة « يبلغ طول كل سفينة حوالي ١٥٠ مترًا وعرضها حوالي ٦٠ مترًا » ومن ٢٧.٨٠٠ بحار .

وفي فترة ٢٨ سنة من ١٤٠٥ ، ١٤٣٣ سبق لتشنغ هو أن قام بسبع رحلات زار خلالها ٣٥ من الأقطار الأفروآسيوية ، إنه أول من وصل إلى جنوب خط الاستواء على سواحل إفريقية الشرقية ، وقد سبق تنشغ





هو البحار كولومبس بنصف قرن ونيف ، علمًا بأن أسطوله يفوق الأسطول الغربي حوالي ٢٠ مرة من حيث عدد سفنه ، ويعتبر ذلك حدثًا فريدًا في تاريخ الإبحار [١] .

* * *

إن تركستان الشرقية والمسلمين الصينيين هم صفحة من حضارتنا الإسلامية يجب أن نقرأها ، ونعمل على عودة دورها في حضارتنا ، وإن الشيوعيين المجرمين أعداء الإنسانية ، وسحقة حقوق الإنسان ، قد حاولوا تمزيق هذه الصفحة ، فأغلقوا المساجد ، وحلوا الجمعيات الإسلامية ، وقضوا على تدريس القرآن ، ومنعوا الزواج الديني ، والختان والتطهير ، وأرغموا إخواننا المسلمين في الصين على تربية الخنازير . لكن سيبقى دورنا نحن المسلمين العرب ، والمسلمين الذي حماهم الله من الزحف الشيوعي .. يبقى دورنا في مقاومة هذا الطاعون ، بالعودة الصحيحة للإسلام ، وبالتمسك العملي بالإخوة الإسلامية ، فإن ذلك هو السبيل لعودتنا إلى مكانتنا الحضارية ، ولرفرفة راية الإسلام من جديد على تركستان شرقيها وغربيها ، بل وعلى الأندلس ، وصقلية ورودس . وما ذلك على الله بعزيز .

---

(١) المرجع السابق .




www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة





قصص من حضارتنا
« في آسيا الوسطى والقوقاز »


www.alukah.net
إهداء من شبكة الألوكة


NEW & EXCLUSIVE



من الظواهر التي تحتاج إلى البيان – أن جزءًا كبيرًا من كتاب حضارتنا الإسلامية قد نسيه المسلمون، وأهملوا قراءته، حتى خيل لأكثرهم أن هذه الأجزاء لم تكن يومًا من كتاب هذه الحضارة.

بل نحن كنا أهلها فأصابنا جزاء من الرحمن حق وعادل

إن أكثر أجزاء ما يعرف اليوم باسم الاتحاد السوفيتي كانت أجزاء تابعة لدولة إسلامية تدفع الجزية لسلاطين الأتراك التتار، وتأتمر بأمرهم.

وإن ما هو إسلامي من أرض الاتحاد السوفيتي يتقارب ربع مساحة الاتحاد السوفيتي وهي مساحة لا تقل عن نصف مساحة العالم العربي كله، وهي أخصب أرض الاتحاد السوفيتي وأكثرها غنى في المناجم والمعادن.

وقد سقطت أول أرض إسلامية في يد الروس منذ أربعة قرون، حين سقطت (قازان) عاصمة التتار، ثم في عام ١٧٨٣م احتل الروس شبه جزيرة القرم، ثم « كوغيزيا » في أوائل القرن الثامن عشر، ثم جبال القفقاز في أوائل القرن التاسع عشر، ثم التركستان بمدنها الشهيرة « بخارى وترمذ ومرو وسمرقند » في سنة ١٨٨١م.



ويتكون المسلمون الذين عاشوا – ولا يزالون يعيشون وسيبقون بإذن الله – في هذه الأراضي الإسلامية من شعوب مختلفة اللغة، أكثرها يتكلم اللغة التركية القديمة، بلهجاتها المتعددة، وهم شعوب الأوزبك، والتتار، والكنزاخ، والأذربيجان، والكريمنز، والتركمان، والبشكيز، والفارافلباك والبلكار، والقادتشاتن، والفارانفيس[1] وأما الشعوب التي لا تتكلم اللغة التركية، فهي شعوب التاكميك، والتشيش، والأنكوش، والفادبرديون، والأجار، والأبهازيون، والأديفيون، والشركس، والداغستانيون، والأدموت، والمجرى، والأوست، والتشوفاش.

إن هؤلاء المسلمين الذين يخضعون للاحتلال السوفيتي يزيد عددهم عن خمسين مليونًا، أكثرهم من السنة الأحناف، وهم يمثلون الأكثرية الدينية الثانية، بعد النصرانية التي يبدو أنها تداعت تمامًا أمام المطارق الشيوعية.

ويعيش أكثر هذا العدد من المسلمين في الجمهوريات الإسلامية الشهيرة مثل أوزبكستان وكازاخستان، وأذربيجان، وطاجستان، وتركمانيا، وقرقيزيا، ثم بشكيريا وتتاريا وأجاريا، وداغستان،

---

(١) انظر بتصرف – على المنتصر الكتابي: المسلمون في الاتحاد السوفيتي «الرسالة اللبنانية» عدد ٣٧ صفر سنة ١٤٠٠هـ.



بالإضافة إلى عدة ملايين بعثرهم النظام الشيوعي في الجمهوريات السوفيتية ، غير الإسلامية كمحاولة منه لتذويب هويتهم الإسلامية .

* * *

لقد دخل الإسلام إلى هذه البلاد ، التي أطلق عليها إلى تاريخنا الإسلامي ، بلاد ما وراء النهر – عبر حملات وفتوحات إسلامية متعددة ، امتدت منذ عهد الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﷺ الذي وصلت فيه الجيوش الإسلامية إلى أبواب كابل ، ودوت شهرتها وسمعتها ومبادئها فيما وراءها من بلاد ما وراء النهر ، وقد وصلت جيوش الخليفة معاوية بن أبي سفيان ﷺ إلى عدة مدن على باب هذه المنطقة ، وهي مدن كابل وبلخ وهيرات .. ثم تتابعت الفتوحات على يد يعقوب بن ليث ، ومن ثم قام الغزنويون ، ثم الأتراك في موجتهم الأولى التيمورية التترية ، ثم في موجتهم الثانية .. حتى استقرت للإسلام قواعده ، ورفعت رايته ، وأقامت بناء حضارته .

لقد قدمت هذه البلاد خيرة أئمة الحديث في الحضارة الإسلامية كلها ، وهم الإمام البخاري والإمام الترمذي ، والنسائي ، كما قدمت جمهرة عظيمة من علماء الدراسات القرآنية والفقه ، وعلم الكلام ، فضلًا عن علوم الكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات ، وقد اشتهر علماء هذه الأقطار بالتبحر العميق ، والمغامرة والتضحية في سبيل



العلم ، وإن منهجهم الذي استقوه من الإسلام ، في مجال البحث ، ليعتبر بحق أعظم مناهج البحث في الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية .

ونحن لن نقف عند علم من الأعلام المشهورين كالبخاري أو الترمذي ، وإنما سنقف عند واحد من رجال الطبقة الثالثة ، وهو الإمام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبَّان البستي ، المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، والذي ولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن الإسلامية في بلاد ما وراء النهر ، والتي تخضع في عصرنا للاحتلال السوفيتي ، لقد كان أبو حاتم هذا نموذجًا من جملة عشرات النماذج التي قدمتها هذه البلاد للحضارة الإسلامية ، وإنك لتشعر بنوع من الدهشة عندما تقرأ ما تركه هذا المحدث والفقيه من تراث وما كان يلتزم به من منهج علمي .

فإن من بين التراث الذي عرف لأب حاتم البستي ، غير ما جهل أمره ، وغير ما طرح ، كتاب الصحابة في خمسة أجزاء ، وكتاب التابعين ، في اثنى عشر جزءًا ، وكتاب أتباع التابعين في خمسة جزءًا ، وكتاب تبع الأتباع في سبعة عشر جزءًا ، وكتاب تبَّاع التبع في عشرين جزءًا ، وكتاب الفصل بين النقلة في عشرة أجزاء ، وكتاب العلل في أوهام أصحاب التواريخ في عشرة أجزاء ، وكتاب علل حديث مالك في عشرة أجزاء ، وكتاب علل مناقب أبي حنيفة ومثالبه في عشرة أجزاء

وكتاب ما خالف الثوري فيه شعبة في ثلاثة أجزاء ، وكتاب ما انفرد فيه أهل المدينة من السنن في عشرة أجزاء ، وكتاب غرائب الأخبار في عشرين جزءًا [١] .

وإني لن أستطرد في ذكر بقية مؤلفاته ، بل أكتفي بالقول : لقد أحصيت ما بقي مما عرف من تراثه ، فوجدته قد بلغ سبعين ومائة جزء تندرج تحت نحو عشرين مؤلفًا . عدا ما لم يصلنا ..

وما أبو حاتم إلا نموذج واحد قدمناه للدلالة على صفحة عظيمة رائعة من صفحات حضارتنا ، قدَّر الله أن تقع تحت سلطان الشيوعيين ، وأن يحاولوا بكل قواهم الطاغية – تمزيقها من كتاب حضارتنا الإسلامية ، ولكن هيهات ، فإن للإسلام يومًا قادمًا يظهر فيه على الدين كله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [الفتح:٢٨] صدق الله العظيم .

* * *

(١) انظر روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للسبتي بتحقيق محي الدين عبد الحميد (الترجمة) نشر بيروت .







قصص
من حضاراتنا في الهند





دخل الإسلام الهند والسند أول ما دخل على يد محمد بن القاسم الثقفي المتوفى سنة ٩٨هـ وذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك .

وقد انتشر الإسلام بعد ذلك على يد التجار والزهاد والدعاة المخلصين انتشارًا محدودًا .

وفي القرن الرابع الهجري ظهرت موجة الفتح الإسلامي الثانية للهند عندما حكم الهند عاهلون كبار من العرق التتري والمغولي ، على رأسهم إلب شكين التتري ، والد محمود الغنزوي ، الذي حكم مملكة تبدأ من ضفة نهر جيجون اليسرى ، إلى سلسلة جبال سليمان مغرب السند ، وجعل قاعدة ملكة في غزنة ، ثم يستولى على البنجاب ويبدأ في هذه النواحي اعتناق الإسلام بأعداد كبيرة .

وعندما خلفه ابنه محمود الغزنوي ، الذي استمر في الحكم ثلاثين سنة ، قام بحملات على أنحاء من الهند اثنتي عشرة مرة ، مما جعل فتح المسلمين للهند ، وسيطرتهم عليها ، أمرًا ثابت الدعائم والأركان .

وقد حكم المسلمون الهند نحو ثمانية قرون منذ محمود الغزنوي وحتى دخول الإنجليز إليها في القرن التاسع عشر الميلادي ، الثالث عشر الهجري .





وخلال هذه القرون الثمانية أسدى المسلمون لشبه القارة الهندية خدمات عظمى ، أولها وأعظمها ، هو نشر الإسلام الذي أصبح يدين به منهم نحو عشرين في المائة ، ولو كان من سياسة المسلمين إجبار الناس على الدخول في الإسلام ، لكان أولى البقاع بذلك هي الهند ، إذ كانت السيطرة فيها كاملة للمسلمين ، وكان أكثر أهل الهند وثنيين من الهندوس ، ومن البوذيين .

وقد تعدى الإسلام في معتنقيه إلى من سواهم من غير معتنقيه ، فأثر في عقلية الشعب الهندوكي وفي ديانته نفسها ويقول الباحث الهندي المعروف « بانيكار » : « إن من الواضح أن تأثير الإسلام في الديانة الهندوكية كان عميقًا في العهد الإسلامي .. إن فكرة عبادة الله في الهنادك ، مدينة للإسلام ، إن قادة الفكر والدين في هذا العصر وإن سموا آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله ، وصرحوا بأن الإله واحد ، وهو يستحق العبادة ، ومنه تطلب النجاة والسعادة ، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الإسلامي كديانة « بهاجتي » ودعوة « كبيرداس » [١] هذا من الناحية الدينية ، أما من الناحية الاجتماعية فكان تأثير الإسلام – كما يقول العلامة أبو الحسن الندوي – عظيمًا إذ حمل المسلمون معهم فكرة

(١) نقلًا عن المسلمون في الهند ص ١٣ أبي الحسن الندوي .





المساواة الإنسانية التي لم يكن للهند عهد بها ، فلا نظام طبقات ، ولا منبوذ ، ولا نجس بالولادة ، ولا تقسيم وراثي للحرف والصناعات ، ولا جاهل يحرم عليه التعليم ، بل الناس جميعًا يعيشون معًا ، ويأكلون جميعًا ، ويتعلمون سواء ، ويختارون ما يشاءون من الحرف والصناعات .

ويدخل في أثر الإسلام الاجتماعي موقفه من المرأة ، من ناحية احترامها والاعتراف بحقوقها وكرامتها كعضو محترم من أعضاء الأسرة الإنسانية ، ولعل عظمة موقف الإسلام من المرأة تتجلى في الهند إذا علمنا أن النساء في الهندوكية كنَّ يحرقن أنفسهن بالنار ، بعد وفاة أزواجهن ، وهنَّ لا يرين ولا يرى المجتمع لهن حقًا في الحياة بعد وفاة الأزواج ، وهذا الطقس الهندوكي ، يسمى « سيتي » .

وقد أورد المؤرخ الهند الكبير المشهور بمؤلفاته السائرة وكتبه المقررة في الجامعات وهو المؤرخ « جادو سركار » عديدًا من الأيادي الإسلامية على الهند ، منها باستثناء ما ذكرنا في الناحيتين الدينية والاجتماعية .. إيجاد صلات للهند بالعالم الخارجي ، بعد أن كانت معزولة تمامًا عن العالم ، ومنها إيجاد لغة رسمية إدارية وأسلوب نثري فني يصلح للكتابة العلمية والأدبية ، ومنها إيجاد وحدة سياسية واجتماعية في اللباس ومظاهر الحضارة ، خصوصًا في الطبقات الراقية ، وبدرجة ما في





الطبقات الشعبية ، ومنها تقدم لغات إقليمية في ظل الحكومة المركزية اعتمادًا على تحقق السلام والأمن والرفاهية ومنها تجديدُ التجارة عن طريق البحار التي كانت قد توقفت منذ فترة طويلة ، وإنشاء بحرية للهند بعد أن كانت بعيدة عن هذا المجال .

أما فضل الحضارة الإسلامية في الهند على المسلمين أنفسهم ، فهي صفحة عظيمة لا يمكن حصر نواحي إبداعها في هذا المجال ، سواء فيما أنشأوه من آلاف المساجد البالغة الغاية في فن المعمار ، وسواء فيما أسهموا به في العلوم الإسلامية المختلفة .

ومن التراث الإسلامي العالمي الذي دبجه مسلمو الهند كتاب العباب الزاخر للإمام حسن بن محمد اللاهوري ، وكتاب كنز العمال للشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانغوري ، وكتابُ مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار ، ومنها الفتاوى الهندية في ستة مجلدات ، ومنها مسلم الثبوت في أصول الفقه لمحب الله بن عبد الشكور ، وكتاب كشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد التهانوي ، وجامع العلوم ، وحجة الله البالغة للإمام ولي الله الدهلوي ، وهو من أعظم الكتب في الحضارة الإسلامية .

ومنها تاج العروس في شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي ..



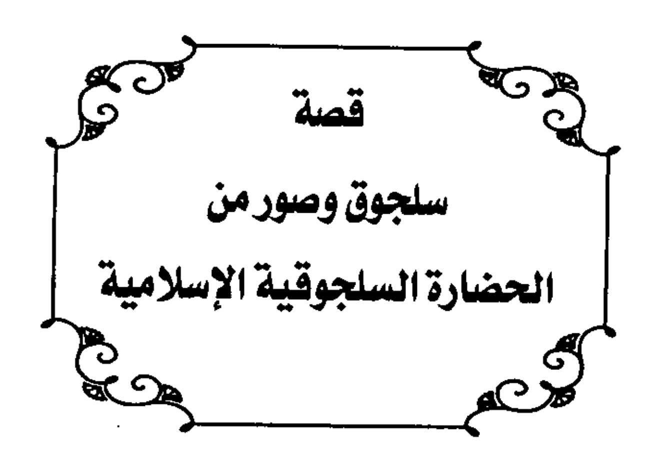
وما هذه إلا قطرة في بحر كبير ، وإلا فإن صفحة حضارتنا الإسلامية في الهند ، صفحة زاخرة في كل جيل وفي كل قرن ، ولا زالت هذه الحضارة موصولة بإذن الله ، حتى وإن نزل المسلمون من مستوى القيادة فإنهم قادرون على البقاء – بإذن الله – في مكان القيادة في الفكر والحضارة ..

لأنهم – لو تمسكوا بدينهم – جزءٌ من خير أمة أخرجت للناس ، وهو ما نرجوه لهم ، ونتمنى أن يعينهم الله عليه ..








قصة
سلجوق وصور من
الحضارة السلجوقية الإسلامية







تمثل صفحة دولة السلاجقة في حضارتنا الإسلامية واحدة من أروع الصفحات وأكثرها إيجابية .

والطريف أن هذه الأسرة ترجع في نشأتها إلى تركستان الشرقية من بلاد آسيا الوسطى .

ولظروف ما هاجرت هذه الأسرة بقيادة كبيرها سلجوق الذي تنسب الأسرة إليه . . وبين خراسان وبخارى وأصبهان تراوحت إقامتها حتى استقرت بمرو حيث هاجمها السلطان الغزنوي مسعود ولكنه هزم أمامها ، وأصبحت الخطبة تلقى بمرو باسم داود السلجوقي . . نجل سلجوق الكبير وكان هذا في سنة ٤٣٣هـ .

ومن مرو انتشر سلطان السلاجقة إلى خوارزم ، وبدأ تاريخهم يظهر كقوة لها كيانها المستقل في العالم الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري .

وقد نجحوا في السيطرة على بلاد كثيرة كخراسان وأصبهان وهمذان وبُخارى وامتد نفوذهم حتى العراق ، والتحموا بالدولة العباسية ، ثم أتيحت لهم فرصة ذهبية إذ استنصر بهم الخليفة العباسي (القائم) ضد ثائر شيعي يدعى (البساسيري) عجزت الخلافة العباسية عن مقاومته ، فأسرعوا إلى انتهاز الفرصة التاريخية ودخل زعيمهم طغرل



بك بغداد منتصرًا على البساسيري سنة ٤٤٧هـ وكان هذا العام حدًا فاصلًا في تاريخ السلاجقة إذ اعتبر بداية عصر نفوذ السلاجقة، وسيطرتهم على مصير الخلافة العباسية الكبرى.

امتاز السلاجقة الأتراك في معاملاتهم بالتدين، وكانوا مظهرًا للإنسان الفطري الذي هذبه الإسلام، وإذا ما استثنينا صورًا قليلة تحتمها الطبيعة البشرية التي لا تخلو من بعض القصور، فإن هؤلاء السادة كانوا نموذجًا طيبًا حتى في معاملتهم للخليفة العباسي الذي حفظوا له عرشه، إنهم لم يكونوا كالذين انتصر بهم المعتصم، ولم يكونوا كالبويهيين حينما سيطروا على الخلافة وأذلوا كبرياء الخليفة .. أبدًا لقد احترموا الخلفاء وأجلّوهم، وكان لهم فضل كبير في رفع راية الإسلام، وفي مد عمر الخلافة العباسية أكثر من قرنين من الزمان، كما بدأوا في مرحلة جديدة من التوسع الإسلامي في اتجاه آسيا الصغرى، ويقال إن هذا التوسع الإسلامي كان أحد أسباب قيام الحروب الصليبية.

ومن الظواهر المتعلقة بسياسة هؤلاء القوم الاجتماعية والفكرية .. إلغاء أشهر ملوكهم « إلب أرسلان » لنظام التجسس ولجوء أحد ملوكهم « نظام الملك » إلى نظام الإقطاع بإعطاء الشخصيات السلوجقية والشخصيات الأخرى الكبرى اقطاعات أو « أتابكيات »





لحسابها الخاص ، ومن الظواهر كذلك الحملات الجهادية شبه المنتظمة التي كانت خير علاج للفوضى الداخلية .

كذلك من الظواهر صراع السلاجقة المستمر ضد حركات الإسماعيلية ونجاحهم في تقليم أظافرهم .

وبعد صفحة تاريخية رائعة من صفحات الحضارة الإسلامية امتدت بين سنوات ٤٣٣ - ٦١٩ قدر للسلاجقة أن يأفل نجمهم وأن تغرب شمسهم ، بعد أن حكم منهم واحد وثلاثون زعيمًا سلجوقيًا ، وبعد أن قدموا للخلافة الإسلامية الكبرى أجل الخدمات ، وحموها من كثير من عثرات السقوط وقدموا لحضارة الإسلام يدًا من أروع ما قدمت الدول الإسلامية من أياد بيضاء .

لقد ازدهرت في عهد السلاجقة جوانب الحضارة المختلفة ، فعلى الرغم من أنهم دولة جهاد إلا أن العلوم والآداب فازت بنصيب وافر من اهتمامهم .

كما أن نواحي النشاط الاقتصادي من زراعة وصناعة ورعي وتجارة وتنظيم الطرق وتأمين المسالك ، وتوفير الحياة الكريمة .. كل هذا اهتم به السلاجقة أيما اهتمام ، فضلًا عن اهتمامهم الدؤوب بشئون الجيش وتطوير السلاح ، بيد أن السلاجقة وقعوا ، وهم يسيرون في الطريق ، في أخطاء ظنوها خيرًا ، فانقلبت على دولتهم شرًا .



لقد لجأ السلاجقة – كما أسلفنا – إلى نظام الإقطاعات ، وأسندوا معظمها إلى شخصيات سلجوقية ، وقد حسبوا أن هذا من شأنه أن يشغل السلاجقة عن التفكير في الحكم ، وأن يرضوا بالبعد عن السلطة ، لكن الإقطاعيين السلاجقة سرعان ما حاول كل منهم أن يكون لنفسه من إقطاعاته إمارات صغيرة ، حاولت كل واحدة منها الانفصال عن السلطة ، وهو عكس ما كان يهدف إليه السلاجقة الحكام .

وقد أدى هذا إلى تفكيك وحدة السلاجقة وإلى انهاك قوى السلطة السياسية الحاكمة ، وإلى توزيع النفوذ الحقيقي في الدولة بين عديد من الأمراء ، كما أن هذا الخطأ أدى إلى عدول السلاجقة عن طريق اختيار زعمائهم القديمة التي كانت تعتمد على الكفاية والمقدرة ، فأصبحت الزعامة تقليدية دورية ، خوفًا من كثرة تنازع أمراء الإقطاعات عليها .

ومن المضاعفات كذلك تهاون السلاجقة – في ظل تفككهم – أمام حركات التمرد الباطنية ، ولا سيما أمام الحركة الإسماعيلية بزعامة قائدها الحسن الصباح ، وقد قدر لهذه الحركة أن تستنفذ طاقة كبرى من طاقات السلاجقة التي كان في الإمكان استخدامها في القضاء على حركات التفكك التي أصيبت بها الدولة أو الزعامة السلجوقية للخلافة العباسية .



لكن ذلك كلَّه لا يغمط السلاجقة حقهم ، فقد دافعوا عن العالم الإسلامي قرنين من الزمان ، وكانت لهم أياد حضارية كثيرة ومتنوعة ، فصفحتهم في كتاب الحضارة الإسلامية صفحة من أفضل الصفحات ، ومن أكثرها أصالة والتزامًا بالكتاب الكريم والسنَّة الشريفة فجزاهم الله عن خلافة الإسلام وتاريخ الإسلام خير الجزاء .











وأخيرًا قصة فاتح الهند الأول «ومأساة نهايته»









تلخصت قصة فاتح الهند الأول « محمد بن القاسم الثقفي » في هذا الحوار :

أتعرف أيها الأمير أن قوادًا قبلك حاولوا ما تحاوله اليوم فباءوا جميعًا بالفشل ؟

أعرف ذلك جيدًا ولكن شتان بيني وبينهم .

لا .. يا سيدي الأمير لقد كانوا أكثر منك عددًا وعدة .

ليس يعنيني العدد والعدة لأني لا أؤمن بمثل هذه المقاييس ، وإنما أؤمن بمقاييس أخرى لأهميتها خطورة تفوق عندي العدد والعدة .

أفصح يا سيدي القائد فلم أفهم بعد .

إنني أملك طاقة من الإيمان برسالتي ومبدئي فوق ما يملكه السابقون ، إنني أحمل روحي على كفي أقذف بها المشركين رخيصة في سبيل الله ، وهي آخر ما أفكر فيه ، أما هم فأول ما يعنيهم أرواحهم وأموالهم .

إذن أنت مصمم على اقتحام ثغر السند وغزوه ؟

نعم إن شاء الله رب العالمين .

***





دارت هذه المناقشة بين محمد بن القاسم الثقفي أحد قوّاد الوليد بن عبد الملك ، وبين صاحب من أصحابه ، على إثرها قام ابن القاسم بتجهيز جيش عدَّته عشرون ألفًا من المؤمنين الأشداء ، خرج به غازيًا بلاد السند ، تلك التي استعصت على كثير من القواد والملوك .

وما إن وصل ابن القاسم إلى أول مكان من تلك البلاد ويسمى (الديبل) وفيه صنم كبير يعبده أهل السند ، حتى نصب مجانيقه وانهال على الصنم كسرًا وتحطيمًا ، ثم تابع سيره قاصدًا عظيم السند – ويدعى زاهر – فما أن علم الأخير بمقدمه حتى أعدَّ له جيشًا جرارًا تقدمته المئات من الفيلة ، فما إن نظر المسلمون إلى هذا الجيش حتى خفقت قلوبهم ، لا لأنهم لم يتعودوا حرب القلة مع الكثرة ، بل لأنهم تعودوا حرب الإنسان مع الإنسان ، أما أن يكون الإنسان مع الفيلة ، فهذا جديد عليهم !!

ورأى قائدهم ذلك الوجوم الذي أطبق على وجوههم ، فوضع أصبعه على فمه ، ودارت برأسه معركة هائلة ذكر فيها قول صاحبه له :

« إن قوادًا قبل حاولوا ما ستحاول اليوم فباءوا جميعًا بالفشل » .

ولكن .. أيقف هو بدوره كما وقف السابقون ؟!

إذن فما هذا التشدق بالإيمان و .. و .. و .. لا لا .. لن أقف، مكتوف



اليدين لأن هذا ليس من شيمتي .

لابد أن أفعل شيئًا مهما كانت الظروف .

أعدوا النفط وأشعلوا فيه النيران ، وقابلوا أفيالهم به ، والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

وانطق هو كالمارد متقدمًا الصفوف مقتحمًا جيوش أعدائه ، ضاربًا بكل قوة وبمن معه من جنود الله – أعداء الله .. واستبسل جنوده من خلفه حتى لكأنهم لم يكن على وجوههم الوجوم من قبل .

وانطلق محمد بن القاسم غير هياب ولا وجل حتى لاح في الأفق بشير النصر ، وولى المشركون الأدبار .

فسجل التاريخ أن فتح الإسلام لبلاد السند قد تم على يد محمد بن القاسم الثقفي .

* * *

وعاد ابن القاسم وقد ظن أن الأقدار واتته وأن السعادة أتته ، وأي سعادة بعد هذا ؟؟

قائد شاب لما يبلغ الثالثة والعشرين من عمره يفتح ما عجز عنه الفاتحون !!





وأشرف الموكب على مدينة بغداد سعيدا بنصر الله ، وقائده الشاب في أحلى صوره وأجمل مظاهره ، ونظر القائد عن كثب ، وأمعن النظر في المدينة التي ظنها ستخرج عن بكرة أبيها تنتظره ، فها هو ذا لا يجد منها إلا عبوسًا وفتورًا !!

وكاد يلوي عنان فرسه ليعود من حيث أتى لولا أنه وجد أبواب المدينة قد فتحت على مصراعيها ، وأمامها رسول يدعوه لمقابلة والي العراق الجديد « يزيد بن أبي كبشة » وتقدم ابن القاسم من قصر الوالي الجديد فما هاله غير أصفاد وقيود توضع في يديه ، وجنود يسوقونه إلى سجن مؤلم يلقى فيه صنوفًا من العذاب وألوانًا من التنكيل !!

إيه يا رب .. ماذا فعلت يا ابن القاسم ، وماذا أجرمت ؟!!

أي جريرة نسبت إليك وعملت الأحقاد على إلصاقها بك حتى تساق هكذا مجرمًا كباقي المجرمين !!

لك العتبى يا إلهي ومنك العفو والرحمة ، فهذه هي ضريبة الجهاد على المصلحين وجزاء المجاهدين في عصرنا وفي بعض عصور الأولين !!

وجلس ابن القاسم في سجنه المظلم صابرًا لقضاء الله محتسبًا عنده ما بذله في سبيل الإسلام .. وجاءه ذات يوم صوت من الخارج وهو في



سجنه يأمره بالمثول أمام القضاء الذين تهيأوا لمحاكمته .

وذهل ابن القاسم وكاد يصعق وساءل نفسه :

أي محاكمة ؟!! وأي قضاة ؟!! وأي جرائر ؟

ما كل هذه الخيالات !! أأنا في حلم أم في حقيقة !!

وجاءه صوت من أعماقه يرد عليه : لست في خيال يا ابن القاسم ، إنما هي حقيقة الأحقاد التي تربصت بك الدوائر ، وكالت لك التهم ولفقت لك الجرائم .

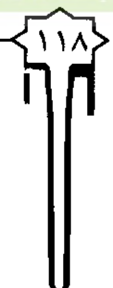
لقد تغير الوالي الذي أرسلك بوالٍ آخر لم يقدر لك جهادك ونضالك ، وإنما ظنك عميلًا للوالي السابق فأمر بك فسجنت ، ثم أمر فقدمت للمحاكمة ، ثم أمر فستموت ، فلا يغرنَّك قضاة ومحكمة ، فحكم القوي قد نفذ ، فاصبر لقضاء الله ولا تكن من القانتين .

* * *

وسيق ابن القاسم إلى المحكمة ليسمع ضجيجًا وكلامًا ما فهم منه كلمة وكأنه ليس يعنيه ، ثم سيق مرة ثانية إلى جهة نائية ووراءه قوم بعضهم يبكي وبعضهم يضحك إلى أن وصل إلى بقعة من الأرض ليس فيها غير حبل ووتدين قد علق الحبل بينهما .. !!







ففهم ابن القاسم على الفور ما كان وما سيكون ..

(وبينما هو ينتظر الصعود إلى حبل الموت إذ عنَّ له أن ينظر إلى هذا الحبل) فتطلع إليه من أرضه ، فوجده يهتز يمينًا وشمالًا وكأنه يعارض هذا الحكم الجائر ويعلن عصيانه .

ثم نظر ابن القاسم إلى السماء فوجدها ملبدة بالغيوم تلبس ثوبًا أسود قاتم اللون وقد أنذرت بالعواصف الهوجاء .

فقال ابن القاسم لنفسه :

والله إنها لعواصف حقًا ستقوم ..

إنها نذير ثورة عارمة سوف تثأر لدمي من أعدائي فما أتم ابن القاسم حديثه إلى نفسه حتى وجد عشرة من الرجال يقودونه إلى الحبل ، فقرأ ابن القاسم بالشهادتين همسًا ، وما كاد ينتهي منها حتى صعدت روحه إلى بارئها !!

وطوى التاريخ صفحة من صفحات البطولة والتضحية .. في سبيل الله .

صفحة عرف التاريخ أولها وأشاد به .. وغمض عليه آخرها .. فهو لا يجد لها تعليلًا ..


ورحم الله فاتح السند محمد بن القاسم الثقفي !!



الفهرس

الموضوع	الصفحة






الموضوع **الصفحة**

* * *

